طبعة مزيدة ومنقحة

أيامًا معدودات



حتى لانخسر رمضان

ماذا نريد من رمضان

رمضان وعودة الروح

مجدي الهلالي

طبعة مزيدة ومنقحة

الطبعة الأولى

١٤٣١ هجري - ٢٠١٠ ميلادي

الطبعة الثانية

١٤٤٤ هجري - ٢٠٢٣ ميلادي

رقم الإيداع: ١٤٨٣١/٢٠١٠م

الترقيم الدولي : I.S.B.N

٩٧٨-٩٧٧-٤٤١-٧٨٢-٧

أيامًا معدودات

حتى لا نخسر رمضان
رمضان وعودة الروح
ماذا نريد من رمضان؟

مجدي الهلالي


بسم الله الرحمن الرحيم

المقَـدّمَة

رب يسِّر وأعِن يا كريم

الحمــد لله رب العالمــين، والصلاة والســلام عــلى المبعوث رحمة للعالمــين، ســيدنا محمــد وعــلى آلــه وصحبــه أجمعــين وبعــد.. فلقد من الله عَزَّوَجَلَّ علي بالكتابة حول شــهر رمضان في أكثر من كتيب، وتضمنت تلك الكتيبات العديد من الأفكار والمعاني التي تركز على كيفية الاستفادة من هذا الشهر في إحياء القلب، والتزود الحقيقي بالإيمان، وقد اقترح علي بعض الإخوة الأفاضل جمع هــذه الكتيبات في كتاب واحد، لعله يعطي للقــارىء صورة شــبه مجملة حول طريقة الانتفاع بشــهر رمضان.. وهذا الكتاب هو الذي بين يديك أخي القارىء بعنوان «أيامًا معدودات» وقد تم بفضل الله تهذيب الكتيبات التي ضُمنت فيه بالإضافة والتعديل، وهي (حتى لا نخسر رمضان - رمضان وعودة الروح - ماذا نريد من رمضان).

أســأل الله -عَزَّوَجَلَّ- أن ينفعنــي وإيــاك بكل خــير تضمنته هذه الصفحات، وألا يحرمني الأجر إن أصبت أو أخطأت: ﴿**سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ**﴾ [البقرة: ٣٢].

حتى لا نخسر

رمضـــــان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.. سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

عندما يذهب شخص إلى الطبيب شاكيًا من علة ما، فالمتوقع أن يستمع الطبيب إلى شكواه ثم يقوم بالكشف السريري عليه، ثم يكتب له الدواء الذي يراه مناسبًا لحالته.

ولن يفوت الطبيب تذكير مريضه بطريقة أخذ الدواء؛ فهذا قبل الأكل وهذا بعده، وذاك قبل النوم.. ثم ينصحه بالانتظام في تناوله، وفي النهاية يطلب منه مراجعته بعد عدة أيام.

ومن المتوقع أن أول سؤال سيسأله الطبيب لمريضه عند المقابلة الثانية سيكون عن مدى تحسُّن حالته الصحية؛ فإن وجد تحسنًا ملحوظًا فسيطلب منه الاستمرار على أخذ الأدوية -كلها أو بعضها- مدة زمنية أخرى حتى يتم له الشفاء بإذن الله، وإن لم يلحظ هذا التحسن فسيتوجه إلى مريضه بالسؤال عن مدى جديته في تناول الدواء بالطريقة الصحيحة، فإن وجد منه التزامًا في هذا الأمر فسيتجه تفكيره نحو تغيير جرعات الدواء، أو استبداله، وكيف لا وهو يعلم بأن هدف مجيء المريض إليه هو

بحثه عن الشــفاء بإذن الله، ويعلم كذلك أن الأدوية ما هي إلا وســائل لتحقيق هذا الهدف.

إن العلاقــة بــين الأدويــة والعافية تمثــل العلاقة بين الوســائل والأهداف؛ فالوســائل ليســت مطلوبة لذاتها بل لتتحقق الأهداف من خلالها.

ومن العجيب أن هذا التصور لتلك العلاقة نمارسه بصورة تلقائية، وفي أمور كثيرة فيما يخص أمور دنيانا، أما أمور ديننا فالأمر يختلف؛ بمعنى أن الأهداف في كثير من الأحوال تُنسى، وذلك حين تتحول الوسائل إلى أهداف وغايات.

حياة القلب بالإيمان هي الهدف

لقد خلقنا الله -عَزَّوَجَلَّ- وأسكننا الأرض لنقوم بمهمة عظيمة، ألا وهي ممارسة العبودية له سبحانه: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [الذاريات: ٥٦].

هذه العبودية لها حقيقة ينبغي أن يعيش المرء في أجوائها، وأن تظهر آثارها على سلوكه وتعاملاته..

فالعبوديــة لله -عَزَّوَجَلَّ- معناها الانكســار والاستســلام التام له

سـبحانه، وطاعة أوامره، ودوام خشيته، والشـعور بالاحتياج المطلق، والافتقار التام إليه؛ ومن ثَمَّ دوام سؤاله، والتمسكن بين يديه، والتوكل عليـه، وإخلاص التوجه لـه، مع حبه، وإيثار محابـه ومراضيه على كل شيء... لينعكس ذلك على السـلوك فيصبح همُّ المرء فعل كل ما يُرضي مولاه، ويسـتجلب به رحمته وفضله وجزاءه الذي وعد به عباده المتقين؛ فيزداد سعيه لكل ما يقربه من الجنة ويبعده عن النار.

فالعبودية الحقيقية تعني غلبة الإيمان بالله على قلب المرء ومشاعره، فيصير حبه سبحانه أحب الأشياء لديه، وخشيته أخوف الأشياء عنده.

.. يطمئن إليـه، ويثق فيه وفي قدرته غـير المتناهية، وقربه، وعلمه وإحاطته بكل شيء؛ ومن ثم يتوكل عليه ويتقيه، ويحبه، ويشـتاق إليه، و....

فالتوكل على الله -عَزَّوَجَلَّ- ومحبته، وخشيته دليل على قوة الإيمان به والعبودية له:

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣].

﴿ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٣].

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٥٧].

وكلما تمكَّن الإيمان من القلب تحسـن السلوك تبعًا لذلك، كما

قال رسول الله ﷺ: «**أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ**»[١].

فالإيمان هو الدافع للاستقامة وللسلوك الصحيح: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ** ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

﴿ **وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ [الأنفال: ١].

﴿ **وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ** ﴾ [الحج: ٣٢].

العبادات وسائل

فإن كانت حياة القلب بالإيمان هي الهدف الذي به تتحقق العبودية لله -عَزَّوَجَلَّ- فكيف يصل المسلم لهذا الهدف؟!

أرشدنا الله -عَزَّوَجَلَّ- إلى الوسائل التي من شأنها أن تُبلِّغنا هذا الهدف.. هذه الوسائل هي العبادات بقسميها القلبية والبدنية: ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة: ٢١].

فالعبادات أدوية ناجعة تحقق للقلب عبوديته التامة لله عَزَّوَجَلَّ..

---

(١) رواه البخاري (١/ ٢٠ برقم: ٥٢)، ومسلم (٣/ ١٢١٩ برقم: ١٥٩٩).

فالصلاة من شأنها أن تُشعر المسلم بخضوعه وانكساره لربه، وهي وسيلة عظيمة للاتصال به سبحانه، ومناجاته، واستشعار القرب منه، والأنس به، والشوق إليه، فتكون نتيجتها زيادة خضوع المشاعر لله: ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ [العلق: ١٩]، ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء: ١٠٩].

وبهذا يزداد الإيمان من خلال تلك الصلاة، وتظهر آثاره في دوافع المرء وسلوكه؛ فتزداد مسارعته لفعل الخير، ويقوى وازعه الداخلي ومقاومته لفعل المعاصي أو الاقتراب منها فيحقق قوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

والصدقة عبادة عظيمة تقوم بمعالجة القلب من داء حب الدنيا والتعلق بها.. أي أنها تُطهِّر القلب وتزيده قوة: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣].

والصيام يساعد المرء على السيطرة على نفسه وإلزامها تقوى الله: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

والذكر يهدف إلى تذكُّر الله.. تذكُّر عظمته وجلاله وجماله وإكرامه... فيزداد به المرء اطمئنانًا وثقة وإيمانًا: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

وهكـــذا في بقية العبادات القلبية والبدنية، والتي تُشـــكِّل منظومة متكاملة يتحقق من خلال القيام الصحيح بها الهدف العظيم من وجودنا على الأرض..

فما من عبادة أرشدنا الله إليها إلا وتُعد بمثابة وسيلة و«مَركبة» تنقلنا إلى الأمام في اتجاه القرب منه ســبحانه؛ حتى نصل إلى الهدف العظيم في الدنيــا: «**أن تعبد الله كأنك تــراه**» وفي الآخرة: ﴿**وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ**﴾ [الزمر: ٦١].

تهيئة الأجواء لتحقيق الهدف

والمتأمل لتوجيهات الشرع يجد أنها تحثنا وتساعدنا على تهيئة الأجواء المناسبة للتفاعل القلبي مع العبادات؛ ومن ثم زيادة الإيمان من خلالها.

فعلى ســبيل المثال: الصلاة.. نجد أن الشرع يحثنا على تفريغ الذهن من الشــواغل وعدم تعلُّق القلب بشيء من شــأنه أن يمنعنا من التركيز فيها، فإذا حضر الطعام مع دخول وقــت الصلاة يُفضل البدء بالطعام؛ حتى يدخل المرء إلى الصلاة وذهنه غير مشغول به.

وكذلك عنــد مدافعة الأخبثين.. قال رســول الله ﷺ: «**لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ، وَلَا هُوَ يُدَافِعُهُ الْأَخْبَثَانِ**»[١].

---

(١) رواه مسلم: (١/ ٣٩٣ برقم: ٥٦٠).

ولا ينبغي للمرء أن يُسرع في خطواته إلى المسجد ليدرك الصلاة، بل عليه أن يمشي في سكينة وهدوء؛ فالإسراع من شأنه أن يجعله يذهب إلى الصلاة وهو مضطرب فيصعب عليه جمع قلبه..

والحث على التبكير في الذهاب للمسجد قبل إقامة الصلاة له دور مهم في صرف شواغل الدنيا عن الذهن..

وكذلك فإن الحث على تذكُّر الموت قبل الصلاة من شأنه أن يستجيش المشاعر نحو الرجاء والطمع في عفو الله والخوف والرهبة من عقوبته..

يقول رسول الله ﷺ: «**اذْكُرِ الْمَوْتَ فِي صَلَاتِكَ فَإِنَّ الرَّجُلَ يَذْكُرُ الْمَوْتَ فِي صَلَاتِهِ لَحَرِيٌّ أَنْ يُحْسِنَ صَلَاتَهُ، وَصَلِّ صَلَاةَ رَجُلٍ لَا يَظُنُّ أَنْ يُصَلِّيَ صَلَاةً غَيْرَهَا**»[١].

كل ذلك وغيره يهيئ المسلم للاستفادة من الصلاة وما فيها من قراءةٍ للقرآن، وذكر، ودعاء، في تحقيق هدفها بزيادة الإيمان وتحسين السلوك..

---

(١) رواه البيهقي في الزهد (برقم: ٥٢٧)، وحسنه ابن حجر كما في المقاصد الحسنة للسخاوي (ص: ٢٢٦).

غياب الرؤية

عندما تغيب هذه الرؤية ويصبح الهدف هو أداء العبادة، بأي شكلٍ كان، فإن ثمرة العبادة لا تكاد تظهر للوجود؛ ومن ثمَّ يظل العبد في مكانه؛ فلا يتقدّم في مضمار سباق السائرين إلى الله، ولا يجد حلاوة الإيمان، ولا يشعر بتحسن ملحوظ في سلوكه، لتكون النتيجة: إنسانًا ذا شخصيتين متناقضتين؛ فقد تجده كثير الصلاة والصيام والحج والاعتمار، ومع ذلك تجده لا يؤدي الأمانة، ولا يتحرى الصدق، ويسيء معاملة الآخرين، ويحسدهم على كل خير يبلغهم.. يُصاب بالهلع والفزع إذا ما تعرَّضت أمواله وممتلكاته أو دنياه لمكروه...

هذه المظاهر السلبية وغيرها تدل على أن صاحبها لم يَسْتَفِد من عباداته، ولم يتحسن إيمانه من خلالها؛ وبالتالي لم ينتج منها الأثر الصحيح الذي من شأنه أن يصلح السلوك والمعاملات..

وتأكيدًا لهذا التشخيص، لك -أخي القارئ- أن تتأمل قول رسول الله ﷺ: «**رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ**»[1].

---

(١) رواه أحمد في المسند (١٤/ ٤٤٥ برقم: ٨٨٥٦)، وابن ماجة (٢/ ٥٩١ برقم: ١٦٩٠)، واللفظ له، والحاكم (١/ ٥٩٦ برقم: ١٥٧١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه على شرط البخاري.

وكذلك قولــه ﷺ: «**وَاعْلَمُوا أَنَّ الله لاَ يَسْـتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاَهٍ**»[١].

وقوله ﷺ : «**لَيُجَاءَنَّ بِأَقْوَامٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَهُمْ مِنَ الْحَسَـنَاتِ مِثْلُ جِبَالِ تِهَامَــةَ، حَتَّى إِذَا جِيءَ بِهِمْ جَعَلَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ هَبَاءً، ثُمَّ قَذَفَهُمْ فِي النَّار**»، فقال ســالم: يا رســول الله بأبي أنت وأمي جَلِّ لنا هؤلاء القوم حتــى نعرفهم، فوالذي بعثك بالحق إني أتخوف أن أكون منهم، فقال: «**يَا سَــالِمُ أَمَا إِنَّهُمْ كَانُــوا يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ، وَلَكِنَّهُــمْ إِذَا عَرَضَ لَهُمْ شَيْءٌ مِنَ الْحَرَامِ وَثَبُوا عَلَيْهِ، فَأَدْحَضَ اللهُ تَعَالَى أَعْمَالَهُمْ**»[٢].

فالمقصد من العبادة ليس فقط أداءها من الناحية الشكلية، بل المهم والأهم هو أداؤها بطريقة تحقق هدفها؛ فإراقة دماء الـهَـدْي في الحج على سبيل المثال ليست مقصودة لذاتها، بل المقصود هو زيادة الإيمان والتقوى من خلال أداء هذه الشعيرة: ﴿ **لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ** ﴾ [الحج: ٣٧].

---

(١) رواه الترمذي (٥/٥١٧ برقم: ٣٤٧٩)، والبزار (١٧/٣٠٧ برقم: ١٠٠٦١)، والحاكم (١/ ٦٧٠ برقم: ١٨١٧)، وقال: حديث مستقيم الإسناد، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ١٧٨).

إحسان العمل أولًا

من هنا نقول بأنه ينبغي علينا أن نهتم بتحسين العمل ليتحقق من خلاله مقصود العبادة، ويزداد الإيمان في القلب..

وفي هذا المعنى يقول الحافظ ابن رجب:

كان السلف يوصون بإتقان العمل وتحسينه دون الإكثار منه؛ فإن العمل القليل مع التحسين والإتقان، أفضل من الكثير مع الغفلة وعدم الإتقان.

وقال بعضهم: إن الرجلين ليقومان في الصف، وبين صلاتهما كما بين السماء والأرض.

ولهذا قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا وغيره: «صلاة ركعتين في تفكُّر خير من قيام ليلة والقلب ساهٍ»[١].

إن القلب هو محل نظر الله عَزَّوَجَلَّ؛ ومن ثمَّ فإن الأعمال تتفاضل عنده -سبحانه- بتفاضل ما في القلوب من إيمان ومحبة وإخلاص وخشية له... مع الأخذ في الاعتبار ضرورة موافقة هذه الأعمال للشرع.

ولئن كان السير إلى الله والقرب منه إنما يكون بالقلوب، فإن وسائل

---

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي (١/ ٤٢٣).

ذلك هي العبـادات والأعمال الصالحة التي دلَّنا عليها القرآن والسـنة، ولكي تتم الاستفادة من هذه الوسائل في تحقيق الهدف لا بد من تحسينها والاهتمام بتفاعل القلب معها، أمـا إذا تم التعامل معها على أنها غايات فسيصبح همّ المرء إتيانها والإكثار منها بأي شكل كان، دون النظر لحضور القلب وانتفاعـه بها، فيؤدي هـذا إلى غياب الأثر الإيجـابي للعبادات والأعمال الصالحة في حياة الفرد.

سل الواقع

ولعل الواقع الحالي للمسلمين خير دليل على أن هناك حلقة مفقودة بين العبـادات وأثرها؛ فعلى الرغم من كثرة عدد المصلين في المسـاجد، وعلى الرغم من كثرة المتطوعين بالصيـام والصدقات، والمتنفلين بالحج والعمرات، إلا أننا لا نرى الأثر المتوقع لهذه العبادات... فما أسـهل أن تجد مصليًا يكذب من أجل تحقيق مصلحـة أو دفع مضرة! وما أكثر أن تجد قارئًـا للقرآن متقنًا لتلاوته يسيء معاملة أهله ويذيقهم الويلات تلو الويلات!... وما أكثر وما أكثر!

إن وجود هذا الانفصال بين العبادات وأثرها مردُّه -بالأسـاس- لتعاملٍ غير صحيح مع العبادات بحيث يفرغها من مضمونها الحقيقي، ويقصرها فقط على الناحية الشكلية.

ولعل من أسباب هذا التعامل:

- تسـليط الضوء على الأحاديث الواردة في فضائـل الأعمال، وعدم ربطها بمقاصدها في تحقيق العبودية وزيادة الإيمان..

- كذلك فإن من أسـباب هذا التعامل: سـهولة القيام بالطاعات من الناحية الشـكلية فقط.. فالاجتهاد في تحقيق التجـاوب القلبي مع البدني يحتاج إلى جهد -قد لا يريد الكثيرون بذله- وبالتالي يستسهلون ذلك التعامل الخاطئ.

- ومنها أيضًا: الشـعور بالرضا عن النفس عند إنجاز (كَمٍّ) معتبر من العبادات، فالملاحظ أنه كلما نجح المرء في الانتهاء من أداء عمل شعر بالرضا عن نفسـه، وهذا الشـعور يدفعه دفعًا إلى الاستمرار في هذا الطريق.

ولعل أبلـغ مثال يؤكد هـذا الأمر هو تلاوة القـرآن في رمضان؛ فالتسـابق في إنجاز أكبر عدد من الختمات دون فهم ولا تفكر من أسبابه الشـعور بالزهو والرضا عن النفس كلما ختم المسلم ختمة، فيدفعه ذلك للبدء في ختمة أخرى وسرعة الانتهاء منها، وهكذا...

تحصيل الثواب

ولئن كانت أسباب اهتمامنا بالقيام بظاهر العبادة دون جوهرها كثيرة ومتعددة؛ إلا أن أهم تلك الأسباب هي الرغبة في تحصيل الثواب المترتب عليها.

فعلى سبيل المثال قراءة القرآن: هذه العبادة العظيمة التي من شأنها أن تُحيي القلب وتُنيره وتشفيه من أسقامه، قد تحوَّلت على ألسن الكثير من المسلمين إلى ألفاظ تُقرأ بلا فهم ولا تفكر ولا تأثر، بل أصبحت الغاية من التلاوة هي قطع المسافة بين فاتحة المصحف وخاتمته في أقل وقت ممكن؛ أملًا في تحصيل الثواب، وذلك عملًا بقول رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أَقُولُ الْم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلاَمٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ**»(١).

ومما يثير العجب أن هناك العديد من الآيات والأحاديث التي تتحدث عن تدبر القرآن كهدف من وراء التلاوة، وتربط بين التلاوة وبين تحقيق هذا الهدف، وتمدح من يفعل هذا، وتذم من يقرؤه بلا فهم أو تدبر كقوله تعالى: ﴿**كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ**﴾ [ص: ٢٩]، وقوله: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ**﴾ [محمد: ٢٤]، وقوله:

---

(١) رواه الترمذي (٥/ ١٧٥ برقم: ٢٩١٠) وقال: حسن صحيح.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا﴾

[الفرقان: ٧٣].

وتأمل قول رسول الله ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وهو يوضح له سبب نهيه لقراءة القرآن في أقل من ثلاثة أيام: «**لَا يَفْقَهُهُ مَنْ يَقْرَؤُهُ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثٍ**»[١].

ورأى رسول الله ﷺ يومًا بعض الصحابة يقرؤون القرآن فقال لهم: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ كِتَابُ اللَّهِ وَاحِدٌ، وَفِيكُمُ الْأَخْيَارُ، وَفِيكُمُ الْأَحْمَرُ وَالْأَسْوَدُ، اقْرَءُوا اقْرَءُوا، اقْرَءُوا قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ أَقْوَامٌ يَقْرَءُونَ يُقِيمُونَ حُرُوفَهُ كَمَا يُقَامُ السَّهْمُ، لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَتَعَجَّلُونَ أَجْرَهُ، وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ**»[٢].

ومن أقواله ﷺ: «**إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ، فَاسْتَعْجَمَ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ، فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ، فَلْيَضْطَجِعْ**»[٣].

وعندما نزلت آيات سورة آل عمران:

﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي

---

(١) مسند أحمد: (١١/ ١٠٤ برقم: ٦٥٤٦) وأصله في الصحيحين.

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (١/ ٢٨٠ برقم: ٨١٣)، وأحمد (٣٧/ ٥٠٩ برقم: ٢٢٨٦٥)، وأبو داود (٢/ ١٢٣ برقم: ٨٣١)، وابن حبان (٣/ ٣٦ برقم: ٧٦٠).

(٣) صحيح مسلم (١/ ٥٤٣ برقم: ٧٨٧).

ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠] ، قال رسول الله ﷺ: «**وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا**»(١).

وتأمل معي قوله ﷺ:

«**سَــيَكُونُ فِي أُمَّتِي اخْتِلافٌ وَفُرْقَةٌ، قَوْمٌ يُحْسِنُونَ القَوْلَ ويُسِيؤُونَ الفِعْلَ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ...**»(٢).

وأقوال الصحابة في ضرورة تدبر القرآن كثيرة، منها قول عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا تَهُذُّوا الْقُرْآنَ كَهَذِّ الشِّــعْرِ، وَلَا تَنْثُرُوا كَنَثْرِ الدَّقَلِ، وَقِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلَا يَكُونُ هَمُّ أَحَدِكُمْ مِنَ السُّورَةِ آخِرَهَا»(٣).

وقول علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « لَا خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَدَبُّرٌ »(٤).

وقول الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «اقْرَأِ الْقُرْآنَ مَا نَهَاكَ. فَإِنْ لَمْ يَنْهَكَ فَلَسْتَ تَقْرَؤُهُ»(٥).

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٢/ ٣٨٦ برقم: ٦٢٠).

(٢) مسند أحمد (٢١/ ٥١ برقم: ١٣٣٣٨) (بنحوه)، ومسند البزار(١٣/ ٤٥٣ برقم: ٧٢٢٥) (بلفظه)، والمستدرك (٢/ ١٦١ برقم: ٢٦٤٩) (بنحوه).

(٣) مختصر قيام الليل (ص: ١٣٢).

(٤) مختصر قيام الليل (ص: ١٤٨).

(٥) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ١٣٤)، والإمام أحمد في الزهد (برقم: ١٦٤٤).

وقال رجل لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إني سريع القراءة، وإني أقرأ القرآن في ثلاثٍ، فقال: «لَأَنْ أَقْرَأَ الْبَقَرَةَ فِي لَيْلَةٍ فَأَدَّبَّرُهَا وَأُرَتِّلُهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْرَأَ كَمَا تَقُولُ»[١].

وهذه السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تسمع رجلًا يقرأ القرآن قراءة سريعة، فقالت: «مَا قَرَأَ هَذَا، وَمَا سَكَتَ»[٢].

إذن فالنصوص التي تؤكد ضرورة تدبر القرآن وتفهُّمه وترتيله كثيرة، فلماذا لا يتم التركيز إلا على الأحاديث التي تسرد الثواب المترتب على القراءة فقط دون غيرها؟!

.. لا شك أن من أهداف تلاوة القرآن تحصيل الأجر، ولكن من خلال القراءة المتأنية المترسلة التي تؤثر في المشاعر والتي تزيد الإيمان وتُذكِّر القارئ بما ينبغي عليه فعله أو تركه، فيصير القرآن حجة له لا عليه.

يقول ابن القيم: «فَلَو علم النَّاس مَا فِي قِرَاءَة الْقُرْآن بالتدبر لاشتغلوا بهَا عَن كل مَا سواهَا، فَإِذا قَرَأَهُ بتفكر حَتَّى مر بِآيَة وَهُوَ محتاجٌ إِلَيْهَا فِي شِفَاء قلبه كررها وَلَو مائَة مرّة وَلَو لَيْلَة، **فقراءة آيَة بتفكر وتفهم خير من**

(١) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ١٥٧).

(٢) الزهد لعبد الله بن المبارك (ص: ٤٢٢ برقم: ١١٩٧).

قِــرَاءَة ختمة بِغَيْر تدبر وتفهم وأنفع للقلــب وأدعى إلى حُصُول الإيمان وذوق حلاوة الْقُرْآن»[١].

أين الثمرة؟!

لقد جرَّبنا القــراءة السريعة، وكان هَمُّ الواحد منا الانتهاء من ختم القرآن، بــل كان بعضنا يتنافس في عدد مرات الختم، خاصة في رمضان، فأي اســتفادة حقيقية اســتفدناها من ذلك؟! ماذا غيَّر فينا القرآن؟! أيُّ تحسُّن حدث في أخلاقنا ومعاملاتنا نتيجة كثرة القراءة باللسان والحناجر فقط؟!

إحسان ثم إكثار

ليــس معنى هذا الكلام هو الزهــد في الأجر والثواب المترتب على أداء العبــادات، بل المقصد هو إحســان العبــادة أولًا، مع الاجتهاد في حضور العقــل وتفاعل القلب معها، ثم لنكثر منها بعد ذلك ما شــئنا، فنجمع بين الأمرين وننال الخيرين.

.. بــل إن الثواب المترتب على الأعمال يرتبط ارتباطًا وثيقًا بحضور القلب أثناء القيام بها...

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ١٨٧).

يقول ابن القيم: «وكل قول رتب الشارع ما رتب عليه من الثواب، فإنما هو القول التام، كقوله ﷺ: «**مَنْ قَالَ فِي يَوْمٍ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ -أَوْ غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ- وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ**» وليس هذا مرتبًا على مجرد قول اللسان.. نعم من قالها بلسانه، غافلًا عن معناها، معرضًا عن تدبرها، ولم يواطئ قلبه لسانه، ولا عرف قدرها وحقيقتها، راجيًا مع ذلك ثوابها، حطت من خطاياه بحسب ما في قلبه، فإن الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب، فتكون صورة العملين واحدة، وبينهما في التفاضل كما بين السماء والأرض، والرجلان يكون مقامهما في الصف واحدًا، وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض»[١].

الفهم الصحيح أولًا

إن الفهم الصحيح لمقاصد العبادات، وإدراك أنها وسائل لا غنى عنها لإحياء القلب بالإيمان، هو الخطوة الأولى على طريق الاستفادة الحقيقية من تلك العبادات، وسيكون من نتاج ذلك الفهم -بإذن الله- البحث عن كيفية إحسان العبادة.

ففي الصلاة: سيكون الهمُّ هو حضور القلب فيها، وهذا يستدعي

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٣٣٩، ٣٤٠).

التبكير إلى المسجد، والتفكر في الآيات المقروءة، والاطمئنان في الركوع والسجود، وكثرة المناجاة والدعاء والتبتل و...

وفي الذكر: سيُقرنه الذاكر بالتفكر فيه، فيستغفر مستحضرًا ذنوبه وتقصيره في جنب الله، نادمًا على ما أسلف، مستحضرًا عَظمة مَن عصاه، وسيقرن التسبيح متفكرًا في مظاهر عظمة الله وقدرته وإبداعه، كما يقول الحسن البصري: «إِنَّ أَهْلَ الْعَقْلِ لَمْ يَزَالُوا يَعُودُونَ بِالذِّكْرِ عَلَى الْفِكْرِ وَبِالْفِكْرِ عَلَى الذِّكْرِ حَتَّى اسْتَيْقَظَتْ قُلُوبُهُمْ فَنَطَقَتْ بِالْحِكْمَةِ»[1].

حتى لا يضيع علينا رمضان

إذا أسقطنا هذا المفهوم على رمضان، فإن تعاملنا معه سيختلف عن ذي قبل وسنجتهد في الانتفاع الحقيقي به.

إن هذا الشهر يمثل فرصة ذهبية لإحياء القلب وعمارته بالإيمان وانطلاقه في رحلة السير إلى الله؛ لِـمَا قد اجتمع فيه من عبادات متنوعة مثل: الصيام، والصلاة، والقيام، وتلاوة القرآن، والصدقة، والاعتكاف، والذكر، والاعتمار، و....

هذه العبادات إذا ما أحسنَّا التعامل معها فإن أثرها سيكون عظيمًا في

---

(١) إحياء علوم الدين (٥/ ٦).

إحياء القلب وتنويره وتأهيله للانطلاق في أعظم رحلة: «**رحلة السير إلى الله**».

أما إن تم التعامل معها بصورة شــكلية محضة فسيبقى الحال على ما هو عليه.. ســتبقى الأخلاق هــي الأخلاق، والنفوس هــي النفوس، والاهتمامات هي الاهتمامات... والواقع هو الواقع، وستستمر الشكوى بعد رمضان من الفتور وضعف الهمة والتثاقل نحو الأرض...

الغنيمة الباردة

ولعل من أهم الأمور التي تُعين المســلم -بإذن الله- على الاستفادة من رمضان هو إدراكه أن هذا الشــهر يُعد بمثابة (الغنيمة الباردة) التي يمكنه من خلالها إيقاظ الإيمان وتجديــده في قلبه والتزود بالتقوى، وأن هذه الغنيمة لا يمكن إدراكها من خلال القيام بأشــكال العبادات دون تحرك القلب معها، وهذا يستدعي منه تفرغًا -إلى حد ما- من الشواغل التي تُشــوّش على عقله، وتصرفه عن الحضور والتجــاوب القلبي مع الأداء البدني للعبادات.

ويحتاج الأمر كذلــك إلى عدم إجهاد البدن قدر المســتطاع؛ فكلما أُجهد البدن ثقلت العبادة وغاب أثرها على القلب.

ومما يدعو للأســف أن البعض يظن أن قيامه بنوافل العبادات -كصلاة

القيام- وهو في حالة من الإجهاد البدني والشعور الشديد بالتعب أفضل من عدم قيامه بها؛ لأنه لو تركها وأخلد للراحة بصورة مؤقتة فستفوته تلك النافلة مع الجماعة، وهذا -بلا شك- نتيجة لغياب الفهم الصحيح لحقيقة العبودية، ولقد مر علينا قول رسول الله ﷺ: «**إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ، فَاسْتَعْجَمَ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ، فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ، فَلْيَضْطَجِعْ**»[1] وليس معنى هذا هو سرعة الاستسلام للشعور بالتعب والإجهاد، ولكن لا بد من إعطاء البدن حقه من الراحة حتى نستطيع -بعون الله- القيام بالعبادة وعقولنا وقلوبنا حاضرة معها قدر المستطاع.

ولك -أخي القارئ- أن تتأمل قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ**﴾ [النساء: ٤٣] ففي مرحلة التدرج في تحريم شرب الخمر، كان التوجيه بعدم شربها قبل الصلاة حتى لا تُذهب العقل فلا يدري المصلي ما يقول؛ أي أن التركيز في الصلاة وفهم ما يقوله المرء أو يسمعه أمر ضروري يتحقق من خلاله مقصودها.

فماذا تقول عمن يدخل إلى الصلاة وهو شارد الذهن ويغلبه النعاس فيبدأ الصلاة وراء الإمام برفع يديه بالتكبير ثم يفاجأ بالتسليم؟! هل بهذا الشكل يزداد الإيمان والتقوى؟!

(١) صحيح مسلم (١/ ٥٤٣ برقم: ٧٨٧).

وقس على هذا من يقرأ القرآن وهو مُتعب وهمّه أن ينتهي من ورده.. هل بهذا يزداد الإيمان بالقرآن كما أخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ؟!

في رمضان العمل مع أنفسنا أهم واجباتنا

فإن قلت: ولكن ماذا أفعل وفي رمضان تزداد الأعمال الخدمية والاجتماعية مما يؤثر بالسلب على إتقان العبادة؟

إن الحركة وسط الناس مطلوبة لتوجيههم ودعوتهم إلى الله، ومساعدتهم، وإسداء الخير لهم، ولكي يستفيد المسلم من هذه الحركة لا بد وأن تنطلق من إيمان حي، ونفس مزكاة، فإن لم يحدث هذا كانت النتيجة سلبية كما قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ مِثْلُ الْفَتِيلَةِ تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَتَحْرِقُ نَفْسَهَا**»[1].

ويقول الرافعي: إن الخطأ أكبر الخطأ أن تنظم الحياة لمن حولك وتترك الفوضى في قلبك[2].

وشهر رمضان فرصة عظيمة لشحن القلب بالإيمان، وترويض النفس وتزكيتها، فإن ضاعت من المسلم هذه الفرصة فأي حال سيكون

(١) مجمع الزوائد للهيثمي (٢/ ٨٨٠) وعزاه للطبراني في الكبير، قال محققه: أخرجه الخطيب في اقتضاء العلم العمل (برقم: ٧١).

(٢) وحي القلم للرافعي (٢/ ٤٢).

عليه قلبه وإيمانه؟!

فمن لم يُحْيِ قلبه في رمضان فمتى يحييه؟

ومن لم يتزود بالإيمان في رمضان فمتى يتزود؟

من هنا نقول: إنه ينبغي علينا الاستفادة من شهر رمضان على المستوى الفردي أكثر من المستوى الاجتماعي حتى نستطيع أداء واجباتنا الاجتماعية طيلة العام.

وليس معنى هذا هو الاعتكاف التام عن الناس طيلة الشهر، ولكن المقصد هو تخفيف الجرعة، وهذا يستدعي منا إنهاء ما يمكن إنهاؤه من واجبات اجتماعية وخدمية قبل قدوم رمضان أو بعد رحيله، والإقلال -قدر المستطاع- من الزيارات العائلية، والإفطارات المجمعة، وكيف لا وشهر رمضان **أيام معدودات** سرعان ما تنقضي؟!

.. لقد كان رسول الله ﷺ يعتكف في كل عام العشر الأواخر من رمضان، وفي العام الذي تُوفي فيه اعتكف عشرين يومًا.. أي ثلثي الشهر، فماذا تقول بعد ذلك وأي حجة ستسوقها لتبرر لنفسك عدم التركيز في العبادة وتحصيل الزاد من خلال منظومة العبادات في شهر رمضان؟!

إن التخطيط الجيد لتنفيذ الأعمال الاجتماعية، والمساعدات الخيرية، والحرص الشديد على الوقت وتنظيمه يساعد -بإذن الله- على تحقيق

مصلحة الفقــراء دون الإخلال ببرنامج الاســتفادة الحقيقية من رمضان وبهذا نجمع الخيرين.

البنا يؤكد

يقول رحمه الله مؤكدًا هذا المعنى:

أيها الإخوة الفضلاء: أحييكم بتحية الإسلام، تحية من عند الله مباركة طيبة، فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته:

في هــذه الليلة التي تجـاوز ختام شــعبان نختم هذه السلســلة من الأحاديث حول نظرات في القرآن -كتاب الله تبارك وتعالى- وإن شاء الله في العشر الأول من شــوال نعود إليها، ونســتفتح بذلك موسمًا جديدًا من مواسم المحاضرات، وســيكون موضوعها إن شاء الله (**نظرات في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي**).

ورمضان شهر شعور وروحانية وتوجُّه إلى الله، وأنا أحفظ فيما حفظت أن السلف الصالح كانوا إذا أقبل رمضان ودَّع بعضهم بعضًا حتى يلتقوا في صلاة العيد، وكان شعورهم: هذا شهر العبادة وشهر الصيام والقيام، فنريد أن نخلو فيه لربنا، والحقيقة أني حاولت أن أوجد فرصة نقضي فيها حديث الثلاثاء في رمضان فلم أجد الوقت الملائم، فإذا كنا قد قضينا معظم العام في نظرات في القرآن، فأنا أحب أن نقضي رمضان في تطبيق هذه النظرات..

أيها الإخوة:

لقد تحدثنا طويـــلًا عن عاطفة الحب والتآخي التـــي أَلَّف الله بها بين قلوبنا، والتي كان من أبرز آثارها هذا الاجتماع على الله، وإذا كنا ســـنُحرم هذا اللقاء أربعة أسابيع أو أكثر فليس معنى هذا أن تخمد العاطفة أو تخبو، أو ننسى أبدًا ما كانت تفيض به قلوبنا ومشاعرنا في هذا المجلس الطيب من أسمى معاني العزة والتآخي في الله، بل أنا أعتقد أنها ستظل متمثلة ومشتعلة في نفوســـنا حتى نحظى بلقاء كريم بعد هذه الإجازة إن شاء الله، فإذا جاء أحدكم يصلي العشـــاء ليلة الأربعاء لي رجاء أن يدعو لإخوانه بالخير، فلا تنســـوا هذا، ثم أحب أن تتذكروا أننا إذا كانت عاطفتنا ستتعطَّش إلى هذا اللقاء خلال هذه الأسابيع، فأحب أن تعلموا بأنها ستروى من معين أفضل وأكمـــل وأعلى، وهو الاتصال بالله تبارك وتعالى، وهو خير ما يتمناه مؤمن لنفسه في الدنيا والآخرة...)[1].

وفي الختام نســـأل الله -عَزَّوَجَلَّ- أن ينفعنا بهذا الشـــهر الكريم، وأن نكون ممن غفر لهم وأعتقهم من النار، والحمد لله رب العالمين.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين...

• • •

---

(١) مقالات الإسلاميين في رمضان لمحمد موسى الشريف بتصرف يسير.

رمضــــان

وعودة الروح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمــد لله الرحيم الودود، حمدًا كثيرًا طيبًــا مباركًا فيه، والصلاة والســلام على المبعوث رحمة للعالمين، ســيدنا محمد وعــلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فلقد خلق الله -عَزَّوَجَلَّ- الإنســان واختصه لنفســه، ونفخ فيه من روحه، وأعد له الجنة لتكون له دارًا، وأسكنه الأرض ليؤدي فيها امتحان العبودية له، فإذا ما نجح فيه عاد إلى داره ليســتمتع فيها بالنعيم الذي لا يمكن لعقل أن يتخيله.

ومع أن كل ما في الحياة من أحداث يدل على أن هناك نهاية للوجود في الأرض، وأنها ليست دار مقام، وأن الآخرة خير وأبقى، إلا أن الإنسان يغفل كثيرًا عن هذه الحقائق، وينشغل بتحصيل شهواته، والاستمتاع بها دون النظر إلى ما ينبغي أن يفعله لكي يفوز بالجنة.

ولأن الله -عَزَّوَجَلَّ- يحب عباده ويريد لهم الخير والنجاح في امتحان الدنيا، فإنه -سبحانه وتعالى- يصبر ويحلم عليهم، ويفرح بتوبتهم، على الرغم من المخالفات الجسيمة التي يرتكبونها، والأوامر التي لم يفعلوها،

والأمانات التي ائتمنهم عليها فضيعوها، ولـم لا وقد وصف نفسه بأنه الرؤوف الرحيم؟! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]، يريد أن يتوب على الجميع: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧] .

.. ينتظر اســتغفار عباده ليغفر لهم، ويفرح بندمهم على ما ارتكبوه من مخالفات ليعفو عنهم ويتوب عليهم.

يريــد منهــم أن يفعلــوا أي خــير ليرفع بــه درجاتهــم: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ [الشورى: ٢٣].

تأمــل معي ما فعلته بنــو إسرائيل من طغيــان، واقترفته من كبائر الذنــوب، ومــع ذلــك كان ســبحانه وتعــالى حريصًــا عــلى توبتهــم وعودتهــم إليــه .. يقول لهــم: ﴿ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ﴾ [البقرة: ٥٨].. قولوا هذه الكلمة فقط لكي أعفو عنكم! ولكنهم أبوا ذلك، ورفضوا المنحة والفرصة العظيمة للعفو والصفح.

الهدايا الإلهية

ومن الصور العجيبة لتودد الله -عَزَّوَجَلَّ- لعباده وحبه لهم، وحرصه على مصلحتهم، وعلى دخولهم الجنة، تلك المنح والهدايا التي يرسلها لهم كل فترة؛ لتكون لهم بمثابة الأمل والحافز لتعويض ما فات، والتشــمير

للحاق بركب المؤمنين السائرين إليه، وإلى جناته.

ومن هذه المنح والهدايا: يوم عرفة، فمن صامه غُفر له ذنوب عامين، ومن استطاع أن يكون في أرض عرفة في هذا اليوم غُفرت كل ذنوبه، وأصبح كما ولدته أمه بلا ذنوب وخطايا.

ومن هذه المنح الإلهية: يوم عاشوراء فمن صامه غُفرت له ذنوب عام كامل..

أما أجَلّ المنح والهدايا الإلهية للعباد فتتمثل في شهر رمضان؛ حيث يتجلى فيه حب الله العجيب لعباده وحرصه على عودتهم إليه، واصطلاحهم معه، على الرغم مما أحدثوه من تفريط في جنبه، وتضييع لأوامره سبحانه، فكل فريضة يؤديها العبد في هذا الشهر كسبعين فريضة فيما سواه ..

.. من صام نهاره وقام ليله غفرت ذنوبه.

.. في كل ليلة من لياليه عتقاء يعتقهم الله من النار.

ومع كل ما تقدم فإن الكرم والجود الإلهي لا يتوقف عند هذا فقط، بل يتجلى بصورة عجيبة في ليلة القدر، وهي ليلة - كما نعلم - من ليالي العشر الأواخر من رمضان .. في هذه الليلة يمنح الله -عَزَّوَجَلَّ- من يحييها بالعبادة عطية لا يمكن تصديقها، ألا وهي ثواب يكافئ ثواب من عبد

الله ألف شهر بل يزيد:

﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣ ﴾

[القدر٢،٣].

فماذا تقول بعد ذلك لإلهنا الرحيم الودود الجواد الكريم؟!

وماذا ينبغي أن نفعله تجاه هذه المنحة والعطية والفرصة العظيمة للعفو ونيل الرضا والعتق من النار؟!

.. هل نتركها تمر دون أن نغتنمها ونعود من خلالها إلى الله؟!

أي شخص هذا الذي يظلم نفسه ويحرمها من هذه الفرصة العظيمة؟!

.. من هنا يتضح لنا معنى حديث رسول الله ﷺ: «**رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ...**»[1].

فمن لم يعمل في رمضان فمتى سيعمل؟!

ومن لم يُغفر له في رمضان في ظل أجواء العفو والمغفرة

---

(١) رواه أحمد (١٢/ ٤٢١ برقم: ٧٤٥١)، والترمذي (٥/ ٥٥٠ برقم: ٣٥٤٥)، وقال: حسن غريب، وابن حبان (٣/ ١٨٩ برقم: ٩٠٨).
رغم أنف: التصق بالتراب كناية عن الذل.

والمنح الإلهية، فمتى إذن سيغفر له؟!

أقبل ولا تخف

فيا من بارزت ربك بالمعاصي، وانتهكت الحرمات، وأطلقت بصرك ولسانك ويدك فيما لا يحل لك.. أتدري أنك بذلك قد أغضبت منك مولاك؟!

أتدري أن الكون كله في ضيق مما تفعل؟! البحار غاضبة تستأذن ربها كل يوم لتغرق الأرض، والسماوات كذلك تريد أن تقع على الأرض لتهلك العاصين الذين عصوا الإله العظيم وأغضبوه، ولكن ربك الحليم الصبور لا يأذن لهم بذلك، بل يصبر عليهم وعلينا ويحلم بنا، ويسترنا، ويستمر في إمدادنا بالرزق وأسباب العافية، بل ويمنحنا فرصة عظيمة، ومنحة هائلة للعودة الهادئة إليه دون كبير عناء منا، وذلك بإرساله هذا الشهر الكريم لنا.

.. فماذا عساك أن تفعل تجاه هذه المعاملة الودودة من ربك لك؟!

ما عليك إلا أن تعزم على الاستفادة من فرصة عمرك في العفو والصفح ونيل الرضا.. ما عليك إلا أن تُقبل على ربك دون خوف.. فربك رؤوف رحيم.. حَنَّان كريم.. ينتظر عودتك، ويفرح بها أيما فرح.

أخي .. أقبل على ربك ولا تخف..

.. أقبل ولا تخف إنك من الآمنين.

رمضان وعودة الروح

أخي الحبيب.. كأني بك أسمع شكواك من نفسك، وأنك كلما هممت بفعل الخير أقعدتك تلك النفس، وكلما أردت ترك المعاصي لم يطاوعك هواك.

.. نعم، تلك هي شكوانا جميعًا، وإن اختلفت صورها، ونحتاج بلا شك إلى روح جديدة تُبث فينا وتعيننا على جهاد أنفسنا ومقاومة أهوائنا، وتدفعنا لفعل الخيرات.

.. هذه الروح من الصعب توفرها في سائر أيام العام بسبب الانشغال بالدنيا ومغرياتها، وكذلك بسبب العمل الدؤوب للشياطين في إضلال الناس وإغفالهم عن المهمة التي خُلقوا من أجلها، أما في رمضان فالوضع يختلف.. الشياطين مصفدة، والأجواء مشبعة بالقرآن والذكر، والفرصة سانحة لعودة الروح، وزيادة الإيمان وقهر الهوى، فليس لدينا إذن ما نقوله بعد ذلك.

ما علينا إلا أن نُـــحسن استقبال هذا الشهر بالشكل الذي يليق بقدره.. وعلينا دائمًا أن نتذكر بأنه: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾.

حاجة الأمة إلى رمضان

إن كان رمضان فرصة عظيمة لعــودة الفرد إلى ربه، وتجديد عهده معه، واســتقامته على أمــره، فرمضان كذلك فرصــة هائلة لتغيير الأمة وإخراجها من المأزق العصيب، والنفق المظلم الذي تســير فيه منذ عدة عقود.

الأمة الإســلامية بحاجة ماســة إلى مشروع قومي تلتف حوله، وتعيد من خلاله بناء عزها ومجدها الســليب. وهنا تظهر القيمة العظيمة لشهر رمضان لو أحسنت الأمة التعامل معه.

فإن قلت: وما علاقة رمضان بنهضة الأمة؟! كانت الإجابة -بعون الله وفضله- في الأسطر القادمة.

أرأيت ما نزل بساحتنا؟!

أخــي: ماذا كان يجــول في خاطــرك وأنت ترى صــور الغارات الصهيونية على رفح وغزة، وما خلَّفته من دمار ودماء وشهداء.

لعلك قــد رأيت على شاشــة التلفاز الجرافات وهــي تهدم بيوت

إخوانك المسلمين في فلسطين.

هل رأيت -مثلما رأينا- تلك المرأة العجوز وهي تجلس خارج بيتها تبكي وتولول وتنظر بأسى إلى حطام بيتها؟!

هل رأيت جنود الأعداء وهم يقومون بإذلال الناس وتفتيشهم والتضييق عليهم؟!

أظنك كنت في ضيق شديد وأنت ترى هذا كله، وترى كذلك آلات الذبح وهي تُعد أمامنا للقضاء على المسلمين، ومحو هويتهم والإفساح للمشروع الصهيوني ليهيمن على مقدراتنا.

وكأني أشعر بك وأنت ترى نفسك مكبل اليدين لا تستطيع أن تفعل شيئًا لإخوانك المسلمين المضطهدين في العديد من بلدان العالم.

ويومًا بعد يوم تزداد الجراحات في جسد الأمة، وتُحكم قبضة أعدائها عليها، وما كان يحاك لها في الخفاء صار اليوم يدبر في العلن، فزاد بذلك شعورك بالإحباط والعجز

لماذا نحن؟!

لعلك -يا أخي- تساءلت كما تساءل غيرك: لماذا يحدث لنا هذا كله؟!

لماذا تتكاثر الجراح وتزداد في جسد أمتنا عامًا بعد عام؟!

أين أثر الدعاء الذي ندعوه ليل نهار؟! لماذا يتركنا الله هكذا تُستباح حرماتنا وينتهك شرفنا؟!

أليس هو القائل -سبحانه-:

﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾؟! [النساء: ١٤١].

فلماذا سمح لهؤلاء الكفار بأن يذيقونا سوء العذاب؟!

لماذا لم يكف بأسهم عنا وهو القادر المقتدر.. ألم يقل سبحانه:

﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾؟!

[الرعد: ١١].

لماذا يتركنا فريسة لإخوان القردة والخنازير يفعلون بنا ما يريدون.. يذبِّحون أبناءنا، ويستحيون نساءنا، ويهدمون بيوتنا؟!

أسئلة كثيرة يتساءلها المسلمون هنا وهناك ويريدون لها إجابة.. فبماذا أجاب القرآن، وهو كما قال عنه تعالى:

﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾؟! [الأنبياء: ١٠].

القرآن يجيب

أفاض القرآن في الإجابة عن تلك الأسئلة التي تموج في أذهاننا، وبيَّن لنا بما لا يدعو مجالًا للشك أن هناك سننًا وقوانين تحكم هذه الحياة، من

استوفى شروطها طبقت عليه، فمن يرد السعادة فطريقها قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣]، ومن يترك طريقها يُطبَّق عليه قانون المعيشة الضنك: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

فإذا ما بحثنا عن القوانين والسنن التي تجلب لنا العقوبات فسنجدها كثيرة، وتدور أسباب استدعائها حول تقصير العباد في حق ربهم، وارتكابهم ما يغضبه، كقوله تعالى: ﴿وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٩٤]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال: ٥١]، وقوله: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

فما يحدث لنا من ذل وهزائم، ما هي إلا عقوبات إلهية نعاقب بها كنتيجة طبيعية لما أحدثناه من تضييع لأوامر الله، وفعل ما يغضبه، ولا ينبغي لمن وقع في المخالفة أن يستغرب العقوبة، فإن كنت في شك من هذا فانظر إلى مظاهر الفسق والفجور والعصيان التي تمتلئ بها شوارعنا، وانظر إلى ما تبثه الفضائيات ليل نهار من فحش ورذيلة.

... نتعامل بالربا، والرشوة، والغش، والظلم.

... نتقاعس عن نصرة المستضعفين من المسلمين في كل مكان..

... فهل تظن بعد ذلك كله أن ينصرنا الله عَزَّوَجَلَّ..

هل تظن أن يحمينا الله من بطش أعدائنا ونحن قد تركنا دينه، وخُنَّا أمانته؟!

أصابنا الوهن

لقد كنا في الماضي أقوى أمة على ظهر الأرض .. كان الكل يعمل لنا ألف حساب، ثم تراجعنا شيئًا فشيئًا إلى الوراء، أصبحنا في ذيل الأمم.. **أتدري لماذا؟**

يجيب عن التساؤل رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه ثوبان عنه ﷺ قال: «**يوشِكُ الأُممُ أن تَداعَى عَليْكُم كَمَا تَداعَى الأَكَلَةُ إلى قَصْعَتِها**» فقال قائل: ومِن قلَّةٍ نَحنُ يومَئذٍ؟ قال: «**بَلْ أنتُمْ يومَئذٍ كَثِيرٌ، ولَكِنَّكُم غُثاءٌ كَغُثاءِ السَّيْلِ، ولَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِن صُدُورِ عدوِّكِم المَهَابَةَ مِنكُم، وليقذِفَنَّ اللهُ في قلوبِكُم الوَهْنَ**». فقال قائلٌ: يا رسُولَ الله، ومَا الوَهنُ؟ قال: «**حُبُّ الدُّنْيا وكَراهِيةُ الموتِ**»[1].

(١) رواه الإمام أحمد (٣٧/ ٨٢ برقم: ٢٢٣٩٧)، وأبو داود (٤/ ١١١ برقم: ٤٢٩٧) واللفظ له.

ألا توافقنـــي أن الحديث ينطبق علينــا، وأن الله -عَزَّوَجَلَّ- قد تركنا لأعدائنا لما أحدثناه؟

ألا ترى أننا جميعًا نتحمل مسئولية ما حدث ويحدث لنا؟

ألم يتمثل فينا قول رســول الله ﷺ: «**إذَا تَبَايَعْتُــمْ بِالعِينَةِ، وأَخَذْتُمْ أَذْنَــابَ البَقَرِ، ورَضِيتُمْ بالزَّرْعِ، وتَرَكْتُم الجِهَادَ، سَــلَّطَ اللهُ عَلَيْكُم ذُلًّا لا يَنْزِعُه حتَّى تَرجِعُوا إلى دِينِكُم**»[١].

إذن فلقد سلَّط الله علينا أعداءنا، وجعلهم بمثابة الأداة التي نُؤدَّب بها كنتيجة طبيعية لانحرافنا عن منهجه، وتعلقنا بالدنيا وتنافسنا عليها.

البداية

فــإن كان هذا هو التشــخيص الحقيقي للوضع الحالي الذي تعيشــه أمتنا، فإن نقطـــة البـــداية التي ينبـغي أن نبـــدأ بها تنطـلق من تغـيير كل الأوضـــاع التي تغضـــب الله -عَزَّوَجَلَّ- ليســتبدل الله بغضبه عليها رضــاه، وعقوبتــه بتأييــده كــما فعــل قــوم يونــس عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [يونس: ٩٨].

---

(١) رواه أحمد (٨/ ٤٤٠ برقم: ٤٨٢٥) ومواضع أخرى، وأبو داود (٣/ ٢٤٧ برقم: ٣٤٦٢) واللفظ له.

ولنعلم جميعًا أنه مهما حدث للأمة من ذل وهوان أكثر مما يحدث الآن، ومهما اشتد الظلام فلن يغير الله ما حاق بنا إلا إذا بدأنا نحن بتغيير ما بأنفسنا .. ألم يقل سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾؟! [الرعد: ١١] لا بديل عن نصرته -سبحانه- على أهوائنا وشهواتنا: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

لا مناص أمامنا من طرد الدنيا من قلوبنا، وأن يكون الله ورسوله أحب إلينا من زوجاتنا وأبنائنا وآبائنا وأمهاتنا وأموالنا وعقاراتنا وإلا فستستمر العقوبة.

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

..لا بديل إذن عن هجر المعاصي، والمسارعة في الخيرات والتنافس في أعمال الآخرة.

.. لا بديل عن الفرار إلى الله والعمل على استرضائه.

.. لا بديل عن أن نكون من أوتاد المساجد، وفي الصفوف الأولى في

الصلاة.

.. لا بديل عن أن نكون مستيقظين في ثلث الليل الأخير، صافين أقدامنا في محاريب الصلاة، نبكي ونتذلل لله عَزَّوَجَلَّ .. نسترضيه، ونستعطفه ونطلب منه المغفرة والفرج والنصر.

الجسد الواحد

واعلم -يا أخي- بأن كونك لا تفعل ما يغضب الله، فإن ذلك لا يعفيك من المسئولية؛ ومن ثم العمل على استرضائه سبحانه، فأمتنا كالجسد الواحد إذا مرض منه عضو أصبح كله مريضًا، فلا يكفي صلاحك الفردي، بل لا بد وأن يصاحب ذلك صلاح جسد الأمة.

.. معنى ذلك أن عليك إيقاظ النائمين، وإعادة الشاردين إلى الله.

.. عليك، وعليّ وعلى الجميع أن يوقفوا حياتهم للدعوة إلى الله، وأن يرفعوا شعار (**واإسلاماه**).

.. علينا أن نقلل من اهتمامنا بالدنيا وبالمستقبل وبالأولاد، وأن نستشعر دومًا الخطر المحدق بنا، والذي يستدعي سرعة التحرك لمنع وصوله إلينا، بل ودحره عن أماكن نفوذه وتخليص إخواننا منه.

.. علينا أن نقيم دولة الإسلام في قلوبنا وبيوتنا، ليقيمها الله لنا في

أرضنا كنتيجة طبيعية للجهد الذي سنبذله في هذا المضمار - كما وعدنا سبحانه بذلك.

لا أستطيع

فإن قلت: إنني مقتنع تمام الاقتناع بهذا كله لكنني لا أستطيع القيام به..

.. **أريد** أن أصلي الفجر في المسجد ولا أقدر على ذلك.

.. **أريد** ترك مشاهدة الأفلام والمسلسلات ولا أستطيع ذلك.

.. **أتمنى** ترك الغيبة والنميمة والحسد، وعدم حب الخير للآخرين ولا أستطيع.

.. **أتمنى** أن تسمو اهتماماتي وتزداد رغبتي في الآخرة ولا أقدر على ذلك.

.. **أريد** أن أكف عن الحديث عن نفسي والمباهاة والافتخار بما عندي فلا تطاوعني نفسي.

.. **أريد** أن أنفق وأتصدق على الفقراء والمساكين بالليل والنهار ولا أستطيع.

.. **أريـــد** أن أبكِّـــر في الذهـــاب إلى المســـجد، وإلى صـــلاة الجمعـــة ولا أستطيع.

.. **أريـــد** أشـــياء كثـــيرة ولا أســـتطيع فعلهـــا، فأنـــا لا أجد همة وقوة دافعة.

كلما عزمت على تـــرك المعاصي وهجرها، أجـــد مقاومة عنيفة من نفسي، وتكون النتيجة الدائمة هي الهزيمة أمامها.

لا أجد روحًا تجعلني أســـعى إلى الآخرة، وأسارع إليها وأتجافى عن الدنيا ولا أتشبث بها ..

فما الحل؟!

.. نعم يا أخي، كلنا يشـــكو من ضعف الهمة وغياب الروح .. كلنا يشكو من أن أقواله أحسن من أفعاله وعلانيته خير من سريرته.

الكثـــير منا لا يرضى عن أمور كثيرة تحدث في بيته لكنه لا يجد القوة الدافعة لتغييرها.

.. كلنا يتســـاءل معك، فما العمل إذن؟ وبخاصة أن أوضاعنا تسوء يومًا بعد يوم، وأعداؤنا متربصون بنا، فبالأمس البعيد كانت فلســـطين، وبالأمس القريب كانت العراق، واليوم السودان، ولا ندري من سيكون عليه الدور في الغد.

روح جديدة

معنى ذلك أن المطلوب هـــو روح جديدة تسري في النفوس، تولد فيها الطاقة وتدفعها لتغيير ما بها، وفعل كل ما يرضي الله.

لا بد من روح جديدة توقظنا من سباتنا، وتنتشلنا من جواذب الأرض والطين، وترفع رؤوسنا إلى السماء.. فأين هي تلك الروح؟ وكيف يمكن تحصيلها؟ أين هو هذا الدواء الذي سيعيد لنا عافيتنا؟ ويصحح اعوجاجنا، ويغير كل ما يغضب الله فينا؟!

الرؤوف الرحيم

ولأن الله -عَزَّوَجَلَّ- هو الذي خلقنا، ويعلم كل شيء عنا، ويعلم أمراضنا، والسبيل الصحيح لعلاجها، فلا بد وأن يكون هناك دواء يعالج تلك الأمراض، ولم لا وقد أخبرنا رسول الله ﷺ بأن الله -عَزَّوَجَلَّ- ما أنزل من داء إلا أنزل معه الدواء الذي يقضي عليه، إلا الهرم أو الشيخوخة.

معنى ذلك أن هناك دواءً شافيًا يقضي على أمراضنا ويعيدنا إلى حظيرة العبودية لله عَزَّوَجَلَّ... فما هو هذا الدواء؟!

إنه القرآن

يخبرنا الله -عَزَّوَجَلَّ- بأنه أنزل دواءً لكل ما يعاني منه المسلم من أمراض..

أنزل دواءً يُقوِّم به المعوج من السلوك والتصورات والاهتمامات..

أتدرون ما هو؟! إنه القرآن: ﴿ **إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ** ﴾ [الإسراء: ٩].

نعم، القرآن: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [يونس: ٥٧]، إنه الوصفة الإلهية لعلاج أمراض الأمة: ﴿ **قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ** ﴾ [فصلت: ٤٤]، ولم لا، وقد وصفه العليم الخبير بأنه روح؟ ﴿ **وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا** ﴾ [الشورى: ٥٢].

فإن كنت في شك من قدرة القرآن على التغيير فتأمل معي قوله تعالى: ﴿ **لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [الحشر: ٢١].

دواء مجرب

ومما يزيدنا يقينًا في قدرة القرآن على تغييرنا وإعادة صياغتنا وتشكيلنا

لنكون من خلاله قومًا صالحين، أن هناك قومًا استخدموه، وأحسنوا التعامل معه، فغيَّرهم وجعل منهم جيلًا فريدًا تفخر به البشرية حتى الآن.. ذلكم هو جيل الصحابة -رضوان الله عليهم- الذين كانوا قبل إسلامهم أمة غريبة تغرق في الجاهلية، لا يقيم لها الآخرون وزنًا، وإن شئت فقل: إنهم كانوا في مؤخرة الأمم، وكانوا أسوأ حالًا مما نحن عليه، ومع ذلك فقد استطاع القرآن أن يغيرهم ويقومهم، ويشفيهم، ويخرج منهم أمة جديدة، هاماتها إلى السماء، فكان الوفاء السريع من الله لهم، فنصرهم على أعدائهم وأورثهم الأرض ومَلَّكَهم ممالكها، فانتقلوا من مؤخرة الأمم إلى مقدمتها، وذلك في سنوات معدودات.. فماذا تقول بعد ذلك عن القرآن؟! ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].

القرآن هو الحل

يقينًا -أخي الحبيب- أن القرآن الذي بين أيدينا قادر على تغييرنا تغييرًا جذريًّا وإعادة صياغتنا من جديد، لنكون كما يحب الله -عَزَّوَجَلَّ- في القول والفعل، والسر والعلن، ولم لا وهو الدواء الرباني الذي أنزله الله -عَزَّوَجَلَّ- ليكون كتاب هداية، وشفاء، وتقويم، وتغيير لكل من يُحسن التعامل معه؟! ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾

يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

.. يقينًا -أخي الحبيب- أن القرآن الذي بين أيدينا هو الذي سيعيد لنا الأقصى وفلسطين و....، سيعيد لنا العزة والمجد، وسينقلنا من ذيل الأمم إلى مقدمتها مرة أخرى لو أحسنّا التعامل معه ودخلنا في دائرة تأثير معجزته.

ولنعلم جميعًا بأن الجيل الموعود بالنصر والتمكين لا يمكن أن يتخرَّج إلا من مدرسة القرآن كما حدث مع الجيل الأول، وغنيٌّ عن البيان أن الحديث عن القرآن يشمل السُّنة بالتبعية، فالسُّنة تشرح القرآن وتُبيِّن ما أُجمل فيه.

القرآن ينتظر

أخي... إن المعجزة القرآنية جاهزة لتغييرك، وتغيير أي شخص يدخل إلى دائرتها، فالقرآن يتعامل مع جميع مكونات الإنسان من عقل وقلب ونفس، فيبني اليقين الصحيح في العقل ويزيد الإيمان في القلب، ويطرد منه الهوى وحب الدنيا...

.. فالقرآن يفجر الطاقات داخل نفس من يقبل عليه بكيانه، ويلح عليه

في تفريغ هذه الطاقات في مجالات الخير المختلفة؛ مع نفسه ومع أهله ومع المجتمـــع... فتجد أهل القرآن المنتفعين به هم أكثر الناس إنتاجًا في عمل الخير.

.. والقـــرآن يُعرِّف صاحبـــه بربه معرفه يقينية فتتحســـن تبعًا لذلك معاملته له ســـبحانه؛ فالمعاملة على قـــدر المعرفة؛ لذلك ترى أهل القرآن الحقيقيين هم أكثر الناس حبًّا لله، وتشـــوقًا إليـــه، وإخلاصًا له، وتوكلًا عليه، واستعانة به، وخوفًا منه...

.. والقرآن يُـــري صاحبه الدنيا على حقيقتها، يُريه أنها حقيرة لا قيمة لها، وأنهـــا كذلك دار امتحان لا دار قرار أو إقامـــة دائمة، ويعلمه كيف يتعامل مع مواد امتحانها، وكيف يســـتقبل أحداث الحياة بالشكل الذي يريده الله منه.

.. والقـــرآن يربط صاحبه بالآخرة، ويرغبـــه فيها، ويحببه في الجنة، ويدفعه للتشمير نحوها.

.. سيجعلنا القرآن دومًا نحذر من أنفسنا، فنكف بذلك عن تزكيتها أو نســـبة الفضل لها، بل يجعلنا ننسب أي خير يصيبنا لله عَزَّوَجَلَّ، وأي شر نقع فيه لأنفسنا.

.. والقرآن ســـيحطم داخلنا جدار الخوف؛ الخـــوف على الرزق،

والمستقبل، والأولاد، وسيصغر الدنيا في أعيننا؛ لأنه يضعها دائمًا في حجمها الطبيعي: ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴾ [الكهف: ٤٥].

والقرآن سيعمل في اتجاهات كثيرة داخل النفس البشرية ويقوم بتغيير ومحو كل ما لا يحبه الله فيها.

دواء يصلح للجميع

ومع هذا كله فالتغيير القرآني لا يحتاج إلى أدوات يصعب توفرها، بل من عجائبه أنه ميسر للجميع، في كل زمان ومكان.. لو قرأه رجل أو امرأة، عالم أو جاهل، صغير أو كبير... لو قرأه أي نوع من البشر، وأحسن التعامل معه وتأثر به فسيُحدث له التغيير المطلوب.

فإن قلت: وكيف يكون هذا؟! أليس الأكثر علمًا هو الأكثر انتفاعًا بالقرآن؟!

لو تعاملنا مع القرآن على أنه كتاب ثقافة ومعرفة لكان الأكثر علمًا بالفعل هو الأكثر انتفاعًا به، ولكن كما تبين لنا أن القرآن كتاب هداية وتغيير وتقويم، ولكي يحدث ذلك لا بد من التأثر بآياته وتحرك القلب معها، وهذا لا يُشترط له فهم عميق ولا علم غزير؛ فقد يفهم شخص ما

آية بفهم محدود لكنه يتأثر بها تأثرًا عظيمًا، وقد يفهم آخر نفس الآية بفهم عميق ولكن دون تأثر.. فالأول -بلا شك- هو الذي سينتفع بالقرآن ويزداد به إيمانًا، أما الثاني فسيزداد به فقط معرفة تظل حبيسة في عقله دون أن يكون لها أثر في سلوكه؛ لأنه لم يتجاوب معها بقلبه.

إن التأثر القلبي متاح أمام الجميع، وهو مفتاح التغيير القرآني، ومن دونه لن يحدث التغيير المطلوب.. هذا التأثر لا يستلزم ثقافة معينة ولا فهمًا عميقًا، بل يستلزم انفعال القلب مع ما تدل عليه الآيات حتى وإن كان مقدار فهم صاحبه لها محدودًا.. تأمل معي ما حدث للأعرابي الذي كان في مجلس رسول الله ﷺ فاستمع منه إلى قوله تعالى: ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨**﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، فقال: يا رسول الله، أمثقال ذرة؟ قال: «**نَعم**». فقال الأعرابي: واسوأتاه، ثم قام وهو يقولها، فقال رسول الله ﷺ: «**لَقَدْ دَخَلَ قَلْبَ الْأَعْرَابِيِّ الْإِيمَانُ**»[1].

لماذا لا يغيرنا القرآن؟

فإن قلت: ولكني أقرأ القرآن وأختمه مرات ومرات، بل وأحفظ بعضه أو كله، والمذياع عندي ينطلق بالقرآن ليل نهار، ومع ذلك فإني لا أشعر بما ذكرته عن جوانب التغيير القرآني؛ فما زلت لا أجد همة ولا روحًا

(١) فضائل القرآن لأبي عبيد (ص: ٢٧٨).

تدفعني للرغبة في الآخرة، والزهد في الدنيا، والمسارعة إلى فعل الخيرات، والانطلاق بالدعوة إلى الله...

.. نعم، هذه شكوى تكاد تكون عامة، وسببها أننا نتعامل مع القرآن كمصدر للأجر والثواب واستجلاب البركة فقط، ولا نتعامل معه على حقيقته التي أنزله الله من أجل تحقيقها، وهي أنه كتاب تغيير وتقويم وهداية وشفاء.

إننا –وللأسف الشديد– قد أدرنا ظهرنا للقيمة الحقيقية للقرآن، وحصرنا الانتفاع به في لفظه فقط.

من هنا يتبيَّن لنا أننا إذا ما أردنا الانتفاع الحقيقي بالقرآن، وبقدرته الفذة على التغيير فلا بد من تعامل آخر معه..

لا بد من تعامل جديد ينطلق من احتياجاتنا الماسة إلى تغيير الوضع المأسوي الذي نعيشه، وتعيشه أمتنا منذ عشرات السنين.

كيف ننتفع بالقرآن ؟

إذن فنقطة البداية للتغيير تنطلق من استشعار حاجتنا إلى القرآن، وهذا بلا شك سيدفعنا للانشغال به، ودوام الإقبال عليه، وعدم تركه ولو يومًا واحدًا، ولم لا وكل يوم يتعرض المرء لفتن وشهوات يحتاج أمامها إلى زيادة في الإيمان تقوِّي قلبه وتعينه على مقاومة ما يتعرض له؟!

إذن سيكون هدفنا من لقاءنا بالقرآن هو تحصيل الهداية وزيادة الإيمان... ومع الانشغال اليومي، والمداومة على اللقاء المتكرر بالقرآن، لا بد أن تكون قراءته بفهم، وأن نعي ما نقوله، مع الصوت المسموع والترتيل، والقراءة الهادئة التي تبحث عن مواضع التأثر ولا تبحث عن كم القراءة.

ولنعلم جميعًا أن التأثر والتجاوب مع القراءة هو الذي يزيد الإيمان ويفجر الطاقات ويطرد حب الدنيا من القلب؛ لذلك علينا أن يكون هدفنا من القراءة: متى سأتأثر؟ ولا يكون هدفنا: متى سأختم السورة؟

فآية واحدة نتأثر بها وتزيد الإيمان في قلوبنا خير من ختمة كاملة بلا فهم ولا تأثر.

ولأن التأثر لا يمكنه أن يحدث دون فهم للمقصود من الآيات، فلا بد أن نفهم ما نقرأ ولكن دون تعسف، وأن نترك ما يستشكل علينا، ونأخذ المعنى الإجمالي من الآيات، ولا بأس بالعودة إلى التفسير لفهم ما صعب علينا فهمه، ولكن في وقت آخر غير وقت قراءة القرآن حتى لا تنقطع صلة مشاعرنا بالآيات؛ ومن ثم لا يحدث التأثر والتفاعل الذي ننشده[(١)].

(١) يمكننا أن نقرأ من مصحف به معاني الكلمات فأنظر سريعًا إلى الكلمة التي لم أفهمها دون قطع التلاوة.

ترديد الآية التي تؤثر في القلب

وعندما يحدث التأثر بآية من الآيات فعلينا الاستفادة القصوى بذلك.. لماذا؟ لأن التأثر معناه دخول نور هذه الآية إلى القلب، واختراقه لغلافه، وهزه للمشاعر؛ مما يزيد الإيمان ويقلل الهوى في القلب، ويفجر الطاقات...

فعلينا استثمار تلك اللحظات، والعمل على دخول أكبر قدر من النور إلى القلب؛ وذلك من خلال ترديد الآية التي تؤثر فيه.. هذا الترديد لا يوجد له حد أقصى من العدد؛ فإذا وُجد التجاوب استمر الترديد، وإذا انقطع التجاوب انتقلنا إلى ما بعدها من آيات.. ولقد كان هذا هو هَدْي رسول الله ﷺ وصحابته الكرام .. كان أحدهم يردد الآية في قيامه لليل حتى يصبح.

.. معنى ذلك أننا قد لا نقرأ الكم الذي حددناه لأنفسنا.. نعم، قد يحدث ذلك، ولكن مع حلاوة الإيمان والتغيير الذي سنستشعره -بإذن الله- من خلال لقائنا بالقرآن، سندرك القيمة الحقيقية لهذا الكتاب، بل وسنندفع متلهفين إلى طول الجلوس معه؛ ومن ثم ختمه في مدة قصيرة، ولكن دون وجود سيف على رقابنا يدفعنا لسرعة القراءة حتى نتمكن من إنهاء الورد.

وحبذا لو جعلنا وردنا زمنًا لا كمًّا، ولنبدأ بساعة -على الأقل- كل يوم، نجلسـها في مكان هادئ بعيدًا عن الضوضاء.. نقرأ ونرتل ونفهم ونتأثر ونبكي، وندعو الله من خيري الدنيا والآخرة.

ساعة واحدة!

أخي المسلم .. أختي المسلمة:

يقينًا، لـو داومنا على لقاء القرآن سـاعة واحدة -على الأقل- كل يوم، وجعلنا شـعارنا فيها: (أن أفهم ما أقرأ وأتأثر به).. يقينًا سنشـعر بتغيير تقر به أعيننا، وتنشرح له صدورنا مع كل لقاء مع القرآن.

سنشعر -شيئًا فشيئًا- بروح جديدة تَدبّ فينا، وطاقة تتولد داخلنا تدفعنا لهجـر المعاصي، وفعل الطاعات، وصلـة الأرحام، والإنفاق في سبيل الله، والدعوة إليه، و...

.. بهذه الساعة سـيعظم قدر ربنا عندنا، ويصبح أحب وأعز علينا من كل شيء، وستصغر أنفسنا ودنيانا في أعيننا، وسنزهد في الناس.

.. بهذه السـاعة سـنعرف معنـى الإيـمان، وسـندرك حقيقته وحلاوته، وسنأنس بالله، وسيزداد شوقنا إلى لقائه.

.. بهـذه السـاعة سنشـعر بالسـكينة والطمأنينـة والحيـاة السعيدة.

.. بهـذه السـاعة سـيزداد إنتاجنا في محيـط الدعوة، وسـتتولد داخلنا الذاتية والإيجابية التي نبحث عنها منذ زمن طويل.

فهل سنداوم -يا أخي- على هذه الساعة؟!

ما الـذي ينقصنـي وإيـاك للمداومة عليهـا، وبالطريقـة التي تم بيانها؟

فلنبدأ من الآن ولنسأل الله -عَزَّوَجَلَّ- التيسير والإعانة.

إياك ثم إياك

إيـاك -يا أخـي- أن تـداوم على هـذه السـاعة، ثـم تجعلها في وقت أنت فيه مجهد لا يمكنك فهم ما تقرأ..

.. إياك أن تكون هذه الساعة وأنت بين الناس..

.. إيـاك أن يكـون همـك فيهـا الانتهـاء مـن أكـبر قـدر من الآيات.

.. إياك أن يكون همك التعمق في المعنى دون التأثر به؛ بل اقرأ ببساطة وسلاسة، واجعل الآيات تنساب داخلك، ويتصاعد تأثيرها عليك شيئًا فشـيئًا، وانتظر بعد ذلك اللحظات السـعيدة .. لحظـات التأثر وتحرك القلب.. عض عليها بالنواجذ، ولم لا وهي لحظات التغيير؟!

وإن استطعت أن تجعل الساعة ساعتين أو ثلاثًا فأنت السابق حقًّا.. وإن اســتطعت أن تخصص وقتًا آخر للقائك مع القرآن في صلاة الليل، فلا تســل عن المعاني التي ســتتولد لديك، ولا الإيمان الذي سيزداد في قلبك ولا جمال العبودية التي ستعيش في ظلالها.

رمضان والروح المفقودة

فإن قلــت: ولكنني لا أجد همة تدفعني لأن أبــدأ وأداوم على قراءة القرآن ساعة كل يوم.

المطلوب -إذن- هــو نقطة انطلاق، وقوة دافعــة تنطلق بها رحلتنا المباركة في العودة إلى الله من خلال القرآن.

.. من هنا تبرز قيمة شــهر رمضان ودوره العظيم في استثارة الهمم، وإخراج الناس من حالة الفتور التي تنتابهم وتقعدهم عن العمل.

فمهما كانت همتنا ضعيفة إلا أنها في رمضان تقوى وتشتد.

فلتكن إذن بدايتنا الجديدة مع القرآن في رمضان، ولنستفد بهذا الشهر في عودة الروح لنا من خلال القرآن.

ولكــن إياك أن تتعامل مع القرآن كما كنت تتعامل ســابقًا.. إياك أن يكون همك في رمضان عدد الختمات التي ستختمها فيه؛ فلقد ختمناه قبل ذلك عشرات المرات.. فماذا تغير فينا؟!

الميلاد الجديد

أخي..

ليكن رمضان هذا العام هو ميلادنا الجديد، وليكن إقبالنا هذا العام على القرآن غير إقبال السنوات الماضية.

أخي ..

تخيل لو أننا استثمرنا همتنا في رمضان وتفرغنا للعبادة فيه، وجعلنا جُل أوقاتنا لقراءة القرآن بالطريقة التي تم بيانها..

تخيل لو جلسنا في رمضان مع القرآن ساعتين وثلاثًا وأربعًا..

هل تدرك حجم التغيير الذي يمكن أن يحدث لنا نتيجة ذلك؟

ستكون -بلا شك- ولادة جديدة لقلوبنا، وصلة قوية بالله عَزَّوَجَلَّ، وحلاوة للإيمان لم نذقها في حياتنا من قبل.

فلنبدأ من الآن، ولننتهز الفرصة المتاحة أمامنا قبل أن يُحال بيننا وبين هذا الكنز العظيم.

.. لننتهز الفرصة قبل أن نندم يوم لا ينفع الندم.

سريان الروح في الأمة

وبعد أن نتــذوق حلاوة الإيمان في القرآن، ونشــعر بالتغيير الذي ســيحدث لنا –بمشــيئة الله – .. علينا أن ندل كل من حولنا على الكنز الذي وصلنا –بفضل الله– إليه ..

فندعو آباءنــا وأمهاتنا، وزوجاتنــا وأبناءنا، وأقاربنــا وجيراننا، وزملاءنا وأصدقاءنا.

.. ندعوهم للسعادة والحياة الطيبة والتغيير من خلال القرآن..

فإن فعلنا ذلك فستسري روح القرآن في الأمة شيئًا فشيئًا، وستستعيد تبعًا لذلك عافيتها، فترتفع هامات أبنائها إلى الســماء مرة أخرى، وتتجه إلى الله، وتفعل كل ما يرضيه ليأتي تبعًا لذلك الفرج والنصر منه سبحانه: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠]، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ [الإسراء: ٥١].

.. وأخــيرًا، نســأل الله –عَزَّوَجَلَّ– أن يعيننا على العــودة الحقيقية إلى القرآن، والتمسك به، والاستشفاء بشفائه، وأن يوفقنا إلى دعوة الناس إليه.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

• • •

ماذا نريد من

رمضـــــان؟

تمهيد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن من رحمة الله وفضله علينا أن جعل لنا في هذه الحياة الدنيا محطات نتزود فيها بالإيمان والتقوى، ونمحو ما عَلق بقلوبنا من آثار الذنوب والغفلات.. نلتقط فيها أنفاسنا، ونعيد ترتيب أوراقنا، فنخرج منها بروح جديدة، وهمة عالية وقوة نفسية تعيننا على مواجهة الحياة وما فيها من جواذب وصوارف، وتُيسِّر لنا أداء المهمة التي من أجلها خلقنا الله عَزَّوَجَلَّ.

فإذا ما بحث الواحد منا عن تلك المحطات وجدها كثيرة.. فمنها اليومية كالصلوات الخمس، ومنها الأسبوعية كيوم الجمعة، ومنها السنوية كشهر رمضان، ومنها ما قد يكون مرة واحدة في العمر كالحج والعمرة.

والسعيد من رتَّب أوراقه، وهيأ نفسه للاستفادة من تلك الفرص قبل قدومها عليه، فلا يدعها تمر حتى يتزود منها بكل ما يحتاجه في رحلته

إلى الله عَزَّوَجَلَّ، كما قال الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

ومن أهم المحطات التي تمر على المسلمين مرة واحدة كل عام: شهر رمضان، فها هي الأيام تمضي ويهل علينا الشهر الكريم بخيره وبركته... ولقد جعله الله -عَزَّوَجَلَّ- موسمًا لاستباق الخيرات؛ النافلة فيه كالفريضة، والفريضة كسبعين فريضة في غيره.. شعاره: «**يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر**» ... الشياطين فيه مُصفدة، وأبواب النيران مُغلقة، والأجواء مهيأة لنيل المغفرة والرحمة والعتق من النار. تزينت فيه الجنة ونادت خُطَّابها: أن هلموا إليَّ، وأسرعوا الخطى، فالسوق مفتوحة، والبضاعة حاضرة، والمالك جواد كريم.

فهيا بنا نحسن الاستعداد لاستقباله حتى لا نفاجأ بقدومه..ومما يعننا على ذلك معرفة ماذا نريد من هذا الضيف الكريم؟ وما الوسائل التي سنستخدمها؟

وهذه الصفحات التي بين أيدينا هي محاولة للإجابة عن هذا السؤال.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

• • •

شهر المغفرة

يقول رسول الله ﷺ:

«رَغِــمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَــلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ...»[١].

فمن لم يُغفر له في رمضان فمتى يغفر له؟!

أيُغفر له وهو غارق في بحر الدنيــا بعيدًا عن الآخرة؟! أم يُغفر له وهو يلهث وراء الدرهم والدينار وطلبات الزوجة والأولاد؟! نحن لا نتــألى على الله تعالى، ولكن كما أخبرنا -ســبحانه وتعــالى- أن للمغفرة أســبابًا، ولدخول الجنة تكاليف، فليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصَدَّقه العمل.

ولك -أخي القارئ- أن تتأمل في قوله تعالى:

---

(١) رواه أحمد (١٢/ ٤٢١ برقم: ٧٤٥١)، والترمذي (٥/ ٥٥٠ برقم: ٣٥٤٥)، وقال: حسن غريب، وابن حبان (٣/ ١٨٩ برقم: ٩٠٨).

رغم أنف: التصق بالتراب كناية عن الذل.

﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ ﴾

[آل عمران: ١٣٣ – ١٣٥].

هل من مشمر للجنة؟!

يقول رسول الله ﷺ:

«**أَلَا هَلْ مُشَمِّرٌ إِلَى الْـجَنَّةِ؟ فَإِنَّ الْـجَنَّةَ لَا خَطَرَ لَهَا هِيَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ نُورٌ يَتَلَأْلَأُ، وَرَيْحَانَةٌ تَهْتَزُّ، وَقَصْرٌ مَشِيدٌ، وَنَهَرٌ مُطَّرِدٌ، وَثَمَرَةٌ نَضِيجَةٌ، وَزَوْجَةٌ حَسْنَاءُ جَمِيلَةٌ، وَحُلَلٌ كَثِيرَةٌ فِي مَقَامِ أَبَدٍ فِي دَارٍ سَلِيمَةٍ، وَفَاكِهَةٌ وَخُضْرَةٌ، وَحَبْرَةٌ، وَنَعْمَةٌ فِي مَحِلَّةٍ عَالِيَةٍ بَهِيَّةٍ**» قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، نَحْنُ الْـمُشَمِّرُونَ لَهَا قَالَ: «**قُولُوا: إِنْ شَاءَ اللهُ**». قَالَ الْقَوْمُ: إِنْ شَاءَ اللهُ[1].

إن دخول الجنة يحتاج –بعد التعلق برحمة الله– إلى كثير من المجهود نبذله

(١) رواه ابن ماجة (٥/ ٣٨٠ برقم: ٤٣٣٢)، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٣٨٩ برقم: ٧٣٨١)، العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٣/ ١١٠٤ برقم: ٦٠١).

في طاعـــة الله، ولِمَ لا؟ وما هي إلا أيام معـــدودات نمكثها في هذه الحياة الدنيا ثم يعقبها سنوات طوال -لا نهاية لها- في القبر والدار الآخرة.

ليتخيل كل منا حجم الندم والحسرة التي تملأ قلوب الغافلين عندما يتعرضون للحساب الرهيب جزاء تقصيرهم في عبادة خالقهم: ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ١١٣ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١٤ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥﴾ [المؤمنون: ١١٢ - ١١٥].

إن أغلى أماني أهل القبور أن يعودوا إلى الدنيا ولو للحظة: يسبحون الله فيها تسبيحة أو يسجدون له سجدة واحدة.

فهل لنا فيهم من عبرة؟!

أمــا آن لنا أن نفيــق من غفلاتنا ونســتعد لمواجهــة المصير الذي ينتظرنــا؟! إننا ما زلنا في الدنيا والفرصة ســانحة أمامنــا للتزود لما بعد الموت، وها هو شهر رمضان يدعونا لذلك.

هيا بنا نشـــمر عن سواعدنا، ونهجر فراشـــنا، ونوقظ أهلنا، ونرفع راية الجهاد ضد أنفسنا وشهواتها ورغباتها.

هيا بنا نجيب داعي الله: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم مِّن مَّلۡجَإٖ يَوۡمَئِذٖ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٖ﴾ [الشورى: ٤٧].

أحوال الناس مع رمضان

نعم.. رمضان فرصة عظيمة لا تأتي إلا مرة واحدة في العام، ولكن هل يتعامل معها المسلمون بنفس المستوى؟

- فمن الناس من يعتبر مجيء هذا الشهر عبئًا ثقيلًا عليه يتمنى زواله فلا يرى فيه إلا الحرمان.. هؤلاء دخل عليهم رمضان ثم خرج دون أن يترك فيهم أثرًا أو يحدث لهم ذكرًا.

- ومنهم من استشعر قيمته فشمَّر عن سواعد الجد واجتهد غاية الاجتهاد في الإتيان بأكبر قدر من الطاعات؛ فأكثر من ختم القرآن وأداء الصلوات والقُرُبات دون الاهتمام بحضور القلب فيها... تعامل مع كل وسيلة على أنها هدف في حد ذاته، ولم ينظر إلى الهدف الأسمى الذي يرنو الصيام إلى تحقيقه. مما لا شك فيه أن هؤلاء يشعرون بأثر طيب في قلوبهم.. لكن هذا الأثر سرعان ما يزول بعد انتهاء رمضان بأيام قلائل.

- وهناك صنف من الناس اعتبر رمضان فرصة نادرة لإحياء القلب وإيقاظه من رقدته وإشعال فتيل التقوى وجذوة الإيمان فيه. نظر

إلى مُستهدف الصيام فوجده في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣] فتقوى الله -عَزَّوَجَلَّ- هي مقصود العبادات: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١]، وعلى قدرها في القلب يكون قرب العبد أو بعده من الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: ١٣] وعلم هذا الصنف أن شهر رمضان ما جاء إلا ليقرِّب الناس من ربهم ويزيد من صِلاتهم به، ويقطع عن قلوبهم صلتها بالدنيا، فهو يزوِّد القلوب بخير زاد: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [البقرة: ١٩٧]، فشَمَّر عن سواعد الجد وأحسن استخدام الوسائل التي وضعها الإسلام في هذا الشهر المبارك وجمع بين عمل القلب وعمل الجوارح.. ومما لا شك فيه أن الصنف الأخير هو الفائز الأكبر من رمضان؛ فلقد أصلح من خلاله قلبه وانطلق به في طريق السائرين إلى الله...

علامات صلاح القلب

فإن قال قائل: وما علامات صلاح القلب التي ينشدها رمضان؟ عندما يستيقظ الإيمان، وتشتعل جذوته في القلب فإن أمارات الصلاح

تظهر بوضوح على الجوارح مصداقًا لقول الرسول ﷺ: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْـجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْـجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْـجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**»(١) فترى صاحب هذا القلب مسارعًا في الخيرات مُعظِّمًا لشعائر الله مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، تتحقق فيه المبادأة والذاتية: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤٤]، سريع الاستجابة للتوجيه والنصح: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ﴾ [البقرة: ٢٣٢]، وتراه كذلك زاهدًا في الدنيا راغبًا فيما عند الله، قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا دَخَلَ النُّورُ الْقَلْبَ انْشَرَحَ وَانْفَسَحَ**»، فقلنا: فما علامة ذلك يا رسول الله؟

قال: «**الْإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْـخُلُودِ، وَالتَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَالِاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِه**»(٢).

فإذا كانت هذه بعض علامات تحقيق الهدف فإنه يبقى السؤال حول

---

(١) رواه البخاري (١/ ٢٠ برقم: ٥٢)، ومسلم (٣/ ١٢١٩ برقم: ١٥٩٩).

(٢) الحديث رواه البيهقي في القضاء والقدر (برقم: ٣٨٩) والزهد (ص: ٣٥٦ برقم: ٩٧٤).. وله رواية عند ابن أبي شيبة والحاكم بلفظ قريب لكنه تلا: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾.

كيفية الوصول إليه؟

إن الوسائل معروفة لدينا، بل مارسنا أغلبها من قبل، ولكن الجديد هو كيف نتعامل معها، ونستفيد منها لنصل إلى الغاية المنشودة من رمضان؟!

ويمكن تقسيم هذه الوسائل إلى قسمين رئيسين:

قسم يصلح من خلاله العبد ما بينه وبين الله، وهو ما يمكن أن نطلق عليه الجانب الشعوري الوجداني.

أما القسم الآخر فيختص بعلاقة الفرد بمجتمعه ويسمى الجانب السلوكي الاجتماعي.

ولا يمكن الاستغناء بأحد القسمين عن الآخر؛ فكلاهما له دور في إنجاح مهمة المسلم على الأرض، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥]، فإسلام الوجه لله -وهو أمر شعوري ووجداني- لا بد أن يصاحبه إحسان إلى الخلق، ومن الخطأ الذي يقع فيه البعض التركيز على جانب دون الآخر... فالذي يُعطي جُلَّ جهده فيما يصلح بينه وما بين الله تاركًا كل ما يعود بالنفع على الناس: إيمانه ناقص؛ فالإيمان قول وعمل.. بل إن من أهم نتائج الأعمال الصالحة أنها تزيد إيمان صاحبها وتثبت قواعده في قلبه، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

جاء في الآثار: «أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله بِنِيَّةٍ صَادِقَةٍ نَظَرَتِ الْمَلائِكَةُ إِلَى عَمَلِهِ، فَإِنْ كَانَ الْعَمَلُ مُوَافِقًا لِقَوْلِهِ صَعِدَا جَمِيعًا، وَإِنْ كَانَ عَمَلُهُ مُخَالِفًا وُقِفَ قَوْلُهُ حَتَّى يَتُوبَ مِنْ عَمَلِهِ»(١).

وفى المقابل فإن الانشغال بالعمل والحركة وسط الناس لقضاء حوائجهم، وحل مشكلاتهم، وإسداء النفع لهم دون أن يصاحب ذلك وجود قلب حي متصل بالله، أمر خطير من شأنه أن يحدث أثرًا سلبيًّا في نفس صاحبه، ولقد حذرنا رسول الله ﷺ من هذا الأمر فقال: «**مَثَلُ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ مِثْلُ الْفَتِيلَةِ تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَتَحْرِقُ نَفْسَهَا**»(٢).

ويقول الرافعي: «إن الخطأ أكبر الخطأ أن تنظم الحياة من حولك وتترك الفوضى في قلبك»(٣).

فلا بد من وجود الأمرين معًا ليُشكِّل كل منهما طرفًا تنعقد به العروة الوثقى، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢].

---

(١) تفسير القرطبي (١٤/ ٣٣٠، ٣٣١).

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي (٢/ ٨٨٠) وعزاه للطبراني في الكبير، والخطيب البغدادي في اقتضاء العلم العمل (برقم: ٧١).

(٣) وحي القلم (٢/ ٤٢).

«القسم الأول»

مع الله

يتيح شهر رمضان للمســلم العديد من الوسائل التي من شأنها أن تحيي قلبه، وتحسن صلته بربه.

أولًا: الصيام

وهو وســيله عظيمة لامتلاك النفس والسيطرة عليها، ولِــمَ لا؟ وهي -أي النفس- العائق الأكبر في ســير العباد إلى الله؛ فمن شأنها دومًا طلب الحظوظ والفرار من الحقوق، ومن أفضل طُرق ترويضها الصيام؛ فبه تضعف مادة شهوتها.

فإذا أردنا أن نستفيد من هذه الوسيلة فعلينا ألا نقضي أغلب النهار في النــوم، وعلينــا كذلك أن نتوســط في تناول الطعــام والشراب عند الإفطار، ولا نتوسع في الأصناف؛ فيكفي صنف أو اثنان، قال الحليمي: «وَكُلُّ طَعَامٍ حَلَالٌ فَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ مَا يُثَــقِّلُ بَدَنَهُ فَيُحْوِجَهُ إِلَى النَّوْمِ، وَيَمْنَعَهُ مِــنَ الْعِبَادَةَ، وَلْيَأْكُلْ بِقَدْرِ مَا يُسَــكِّنُ جُوعَهُ، وَلْيَكُنْ

غَرَضُهُ مِنَ الْأَكْلِ، أَنْ يَشْتَغِلَ بِالْعِبَادَةِ، وَيَقْوَى عَلَيْهَا»(١).

ومع الصيام عن الطعام والشراب، علينا كذلك الإقلال من الكلام والضحك قدر المستطاع، ولنرفع شعار: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ**»(٢)، وليكن كلامنا بعيدًا عن اللغو وسائر آفات اللسان.

ثانيًا: التعلق بالمساجد

المسجد له دور كبير في تنوير القلوب.. ففي ختام قوله تعالى: ﴿**ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ**﴾ [النور: ٣٥] يقول تعالى: ﴿**يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [النور: ٣٥]، وفي الآية التي تَلتها حدد سبحانه أعظم مكان لتلقي نوره بقوله:﴿ **فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ**﴾[النور: ٣٦] ففي المسجد تربط القلوب على طاعة الله وتحبس النفس عن معصيته.

يقول رسول الله ﷺ: «**أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْـخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟**» قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ الله قَالَ: «**إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْـمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْـخُطَا إِلَى الْـمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ،**

---

(١) شعب الإيمان (٧/ ٤٣٣).

(٢) جزء من حديث رواه ابن المبارك في الزهد (برقم: ١٣٤)، وأحمد في المسند (٣٦/ ٥٧٠ برقم: ٢٢٢٣٥)، والترمذي (٤/ ٦٠٥ برقم: ٢٤٠٦).

فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ»[١].

إن قلب المؤمن كثير التقلب من حالة إلى حالة نتيجة التنازع المستمر بين داعي الإيمان وداعي الهوى، وهو بحاجة إلى ربطه وتثبيته على حالة الإيمان.. وهنا يأتي دور المسجد، قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟﴾ [آل عمران: ٢٠٠]: «لَمْ يَكُنْ فِي زَمَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوٌ يُرَابَطُ فِيهِ وَلَكِنِ انْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ»[٢].

فلنبكر بالذهاب إلى المسجد ولا نترك أماكننا بعد الصلاة إلا لضرورة كي ننعم بصلاة الملائكة علينا. قال رسول الله ﷺ: «**الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ**»[٣].

وعلى الأخت المسلمة أن تخصص مكانًا في بيتها تتخذه مسجدًا، فتُبكِّر في الذهاب إليه وتنتظر الصلاة وتردِّد الأذان وتُطيل المُكث فيه كلما سنحت ظروفها.

---

(١) رواه مسلم (١/ ٢١٩ برقم: ٢٥١).

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٢/ ٣٢٩ برقم: ٣١٧٧).

(٣) رواه البخاري: (١/ ٩٦ برقم: ٤٤٥)، ومسلم: (١/ ٤٥٩ برقم: ٦٤٩).

ثالثًا: القرآن الكريم

رمضان شــهر القرآن، وقد كان من هدي رســول الله ﷺ مدارسة القرآن فيه.. فهو وســيلة عظيمة لشفاء القلوب وهدايتها وتنويرها، قال تعــالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونــس: ٥٧]، وعــلى قدر صلة المســلم بالقرآن تكون صلته بالله. قال رســول الله ﷺ: «**أَبْشِرُوا، فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ طَرَفُهُ بِيَدِ الله وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ، فَتَمَسَّــكُوا بِهِ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَهْلِكُوا وَلَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا**»[1].

وهذه الوسيلة العظيمة لن تحقق مقصودها ولن تكون هدًى وشفاءً ونورًا إلا إذا تعاملنا معها بالشكل الذي يريده الله عَزَّوَجَلَّ

.. لقــد نزل القرآن لنتدبره ونســتخرج منه ما ينفعنا لا لنقرأه بألســنتنا فقط، قــال تعــالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾[ص: ٢٩]، والتدبر بمعناه الصحيح هو التفكر العقلي في الآيات والعمل على تجاوب المشاعر معها، ورسوخ مدلول ذلك التجاوب في القلب مما قد يثمر عملًا بالجوارح.. قال بعض الســلف: لا يجالــس أحــد القــرآن ويقوم ســالـمًا إمــا أن يربح أو يخسر، قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ

---

(١) الطبراني في الكبير (٢/ ١٢٦ برقم: ١٥٣٩)، وابن حبان (١/ ٣٢٩ برقم:١٢٢)، والبزار: كشف الأستار (١/ ٧٧ برقم: ١٢٠)، ومصنف ابن أبي شيبة (١٠/ ٤٨١).

﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

أخي.. لقد قرأنا القرآن بألسنتنا قبل ذلك مرات ومرات، وكان هم الواحد منا الانتهاء من ختمه، بل وكان بعضنا يتنافس في عدد المرات التي يختمه فيها وبخاصة في رمضان، فأي استفادة حقيقية استفدناها من ذلك؟! ماذا غيَّر فينا القرآن؟!

إن القراءة باللسان فقط -دون حضور القلب- كالنخالة كبيرة الحجم قليلة الفائدة، وهذا ما كان يؤكده الصالحون على مر العصور.

قال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لَا خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَدَبُّرٌ»[1]، وقال الحسن: «يَا ابْنَ آدَمَ كَيْفَ يَرِقُّ قَلْبُكَ؟ وَإِنَّمَا هِمَّتُكَ فِي آخِرِ سُورَتِكَ»؟![2].

ويؤكد هذا المعنى ابن القيم فيقول رحمه الله: «لا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر، فإنه جامع لجميع منازل السائرين، وأحوال العالمين، ومقامات العارفين. فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواه؛ فقراءة آية بتفكر خير من ختمة بغير تدبر وتفهم»[3].

فليكن رمضان هو البداية الحقيقية للتعامل الصحيح مع القرآن.

---

(١) مختصر قيام الليل (ص: ١٤٨).

(٢) المصدر السابق (ص: ١٤٨).

(٣) مفتاح دار السعادة لابن القيم (١/ ١٨٧) والأثر رواه الآجري في أخلاق أهل القرآن (برقم: ١).

كيف ننتفع بالقرآن؟

القرآن هو أهم وسيلة لترقيق القلوب.. قال وهيب بن الورد: «نظرنا في هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد شيئًا أرق للقلوب ولا أشد استجلابًا للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره»[(١)].

وتلاوة القرآن حق تلاوته -كما يقول أبو حامد الغزالي- «هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب، فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل، وحظ العقل تفسير المعاني، وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار، فاللسان يرتل، والعقل يترجم، والقلب يتعظ»[(٢)].

وهذه بعض الوسائل العملية التي من شأنها أن تُيسر لنا -بعون الله- الانتفاع بالقرآن:

- **قبل بدء القراءة، دعاء الله والإلحاح عليه بأن يفتح قلوبنا لأنوار كتابه**، وأن يكرمنا ويعيننا على التدبر الصحيح والتأثر، فهذا الدعاء له دور كبير في تهيئه القلب لاستقبال القرآن: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ۝١٣ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ١٣، ١٤].

---

(١) إحياء علوم الدين (١/ ٢٨٥).

(٢) إحياء علوم الدين (١/ ٢٨٧).

- **البحث عن الهداية في القرآن،** فالقرآن كما أسلفنا هو أعظم وسيلة للهداية والشفاء والتغيير الجذري للنفس، فينبغي أن نتعامل معه من هذا المنطلق، فلا يكون همنا الانتهاء من تلاوة أكبر قدر من الآيات وحسب، بل تكون غايتنا من القراءة هي تحصيل الهدى والشفاء والتغيير بإذن الله، ومما يساعدنا على ذلك في بداية رحلتنا مع القرآن، استصحاب معنى إيماني أبحث عنه أثناء القراءة [١]، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾[يوسف: ٧].

- **الإكثار من تلاوة القرآن، وإطالة فترة المكث معه،** ويُفضَّل أن يكون اللقاء بالقرآن في مكان هادئ -قدر المستطاع- وبعيدًا عن الضوضاء؛ ليساعد المرء على التركيز وعدم شرود الذهن، ولا ننسى الوضوء والسواك قبل القراءة.

- **القراءة من المصحف بصوت مسموع وبترتيل،** فالترتيل له وظيفة كبيرة في الطرق على المشاعر؛ ومن ثم استثارتها وتجاوبها مع الفهم الذي سيولده التفكر؛ لينشأ بذلك الإيمان حينما يتعانق الفهم مع التأثر.

(١) تم بفضل الله ذكر نماذج لمعاني إيمانية يمكن استصحابها أثناء التلاوة في كتاب: «بناء الإيمان من خلال القرآن» وهو متاح للتحميل والقراءة على موقع الإيمان أولًا.

- **القراءة الهادئة الحزينة،** علينا ونحن نُرتل القرآن أن نعطي الحروف والغُنَّات والمدود حقها؛ حتى يتيسر لنا معايشة الآيات والتفكر فيها والتأثر بها، وعلينا كذلك أن نقرأ القرآن بصوت حزين لاستجلاب التأثر..

ومع هذه القراءة الهادئة علينا بالإنصات التام مع التلاوة.. والإنصات هو أعلى درجات تركيز المرء مع الصوت، فيكون في حالة من التركيز والاستغراق التام مع الآيات، وهذه هي وصية الله لنا، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

- **الفهم الإجمالي للآيات من خلال إعمال العقل في تفهُّم الخطاب،** وهذا يستلزم منا التركيز التام مع القراءة، وليس معنى إعمال العقل في تفهم الخطاب أن نقف عند كل كلمة ونتكلف في معرفة معناها وما وراءها، بل يكفي المعنى الإجمالي الذي تدل عليه الآية أو الآيات حتى يتسنى لنا الاسترسال في القراءة؛ ومن ثم التصاعد التدريجي لحركة المشاعر، فتصل إلى التأثر والانفعال في أسرع وقت.

- **الاجتهاد في التعامل مع القرآن كأنه أنزل عليك،** وكأنك المخاطب به، والاجتهاد كذلك في التفاعل مع هذا الخطاب من خلال الرد على

الأسـئلة التي تتضمنتها الآيـات، والتأمين عند مواضـع الدعاء، والتسبيح في مواضع التسبيح، وسؤال الله الجنة، والاستعاذة من النار في مواضعها... وهكذا.

- **تكرار وترديد الآية أو الآيات التـي حدث معها تجاوب وتأثر قلبي،** حتى يتسنى للقلب الاستزادة من النور الذي يدخل، والإيمان الذي ينشأ في هذه اللحظات.

- **لا بأس من وجود تفسير مختصر بجوارنا،** لجلاء شبهة أو معرفة معنى شَقَّ علينا فهمه، وإن كان من الأفضل الرجوع إليه بعد انتهاء القراءة حتى لا نخرج من جو القرآن والانفعالات الوجدانية التي نعيش في رحابهـا، إلا إذا أَلحَّـت علينـا كلمة نريـد معرفة معناهـا في التو واللحظة[١].

- **الاجتهـاد في الإنصات للآيـات، والتركيز أثناء القـراءة،** علينا أن نجتهد في الإنصات للآيات التي تطرق مسامعنا قدر المستطاع، قال تعـالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، والإنصات -كما سبق- هو أعلى درجات التركيز مع الصـوت، وينصت المـرء حينما يشـعر بأهمية ما يسـمع أو يقرأ،

---

(١) يمكننا أن نقرأ من مصحف به هامش بمعاني الكلمات فأنظر سريعًا إلى الكلمة التي لم أفهمها دون قطع التلاوة.

ويلمس حاجته الشديدة إليه، فكيف بمن يقرأ القرآن الكريم! ، وليس أدل على ذلك من حال الجن حين استمعوا القرآن للمرة الأولى، فقد أدركوا أهميته القصوى، وحاجتهم الماسة إليه فماذا قالوا؟ ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩].

فحري بنا أن نفعل مثل ما فعلوا حتى ننتفع بالقرآن: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

رابعًا: قيام الليل

قيام الليل من الوسائل المهمة في إحياء القلب، يقول رسول الله ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأَبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إِلَى اللهِ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الإِثْمِ، وَتَكْفِيرٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الجَسَدِ**»(١).

إن التعرض لنفحات الليل واقتسام الغنيمة مع المجتهدين لمن أعظم وسائل غرس الإيمان في القلب... ولقد افترض الله قيام الليل على رسول

(١) رواه الترمذي (٥/ ٥٥٢ برقم: ٣٥٤٩) والطبراني (٦/ ٢٥٨ برقم: ٦١٥٤).

الله ﷺ والصحابة الكرام قبل أن تنزل الفرائض، وقبل أن تشرع الحدود، بل قبل أن تفرض الصلوات الخمس؛ لأن الإنسان إذا خلا بربه واتصل قلبه به في جنح الليل طهر القلب ونزلت عليه الفيوضات.

إن هذه الوسيلة العظيمة التي تجمع بين تدبر القرآن وما فيه من كنوز وبين الركوع والسجود، وما فيها من معاني الذل والخضوع والانكسار للمولى -سبحانه وتعالى- لمن أهم وسائل التقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ. فلا ينبغي أن تفوتنا ليلة دون قيام مهما كانت الظروف، والأفضل بجانب أدائنا لصلاة التراويح أن نستيقظ قبل طلوع الفجر بوقت كافٍ للتهجد والاستغفار، لنتذوق طعم الحياة الحقيقية باستنشاق نسيم الأسحار ونحن نناجي الرحمن.

قال بعض الصالحين: «ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة إلا ما يجده أهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة»[١]. وقال إقبال: «كن مع من شئت في العلم والحكمة، ولكنك لا ترجع بطائل، حتى تكون لك أَنَّةٌ في السَّحَر»[٢]... إنه -رحمه الله- يريد أن يقول: كن داعيًا ناجحًا .. كن خطيبًا مفوهًا .. كن محاضرًا فذًّا، كن كما تريد، ولكنك لن تفيد نفسك إلا إذا كانت لك وقفة مع الله في السحر تخلع فيها ثياب

(١) قوت القلوب لأبي طالب المكي (١/ ٧١).

(٢) روائع إقبال لأبي الحسن الندوي (٤٥، ٤٦) - دار القلم - دمشق.

الشـــهرة والعزة، وتنزع فيها الألقاب الزائفة وتعيش حال العبد الخائف من غضب مولاه الطامع في رحمته.

فجهِّز مطالبك، وحــدد أهدافك، وكن خفيف النــوم تنتظر دقات الساعة للخلوة بالحبيب...

من فقه القيام

عندما يمنّ الله علينا بالاســتيقاظ قبل الفجــر بوقت كافٍ، علينا ألا نطيل القيام والقراءة فقط بل نطيل الركوع والسجود أيضًا.

فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد؛ ففي السجود يتم إخراج معاني الذل والانكسار وإظهار الفقر والمسكنة لمن بيده ملكوت السماوات والأرض.

فمناجــاة الله في الســجود مــن أعظم صــور الفرار إليه ســبحانه واســترضائه، وطلب العفو والصفح منه وإظهــار الذل والخضوع له.. وفيه يقدم العبد طلباته ويرفع حاجاته.

اسجد واقترب

إذا أردنا أن تحقق الســجدة هدفها، فنقترب من خلالها إلى الله شيئًا فشــيئًا كما قال ســبحانه وتعالى: ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾ [العلــق: ١٩] علينا أن

نجعلها سـجدة حارة تنسـكب فيها الدموع لتكون مداد رسـائلنا إلى مولانا.

قال عبد الله بن المبارك:

إذا ما الليل أظلم كابَدوه فيسفر عنهم وهمُ ركوع

أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأمن في الدنيا هجوع

لهم تحت الظلام وهم سجود أنينٌ منه تنفرج الضلوع

ماذا نفعل لو حُرمنا القيام؟!

قد نأخذ بجميع الأسـباب المعينة على الاستيقاظ للتهجد ثم نفاجأ بأذان الفجر. فماذا نفعل؟! إنها رسـالة من الله -عَزَّوَجَلَّ- تحمل لنا معاني كثيرة، منها: أن هذا الحرمان قد يكون بسـبب ذنب أذنبناه أو تقصير في حق مـن الحقوق.. ومنها: أن الرغبة في القيام لم تكن أكيدة.. ومنها: أنها قد تكون ابتلاء من الله لينظر ماذا سنفعل؟!

فإذا حدث ذلك فعلينا بالفرار إلى الله في الصلاة والدعاء نسترضيه ونستغفره ونتملقه عساه يعفو عنا.. وعلينا أيضًا بصدقة السر فإنها تطفئ غضب الرب.

ومن توصيات الرسـول ﷺ أن من فاتته صلاته بالليل فليصلها ما

بين صلاة الفجر والظهر، كما روى الإمام مسلم في صحيحه[(١)].

وفى بعض الأحوال قد نستيقظ قبل الفجر وعندما نبدأ في الصلاة نُفاجأ بهروب قلوبنا منا في أودية الدنيا، وكلما حاولنا جمعها مع الله فَرَّت منا، فماذا نفعل؟!

يقول ابن الجوزى: «إذا جلست في ظلام الليل بين يدي سيدك، فاستعمل أخلاق الأطفال، فإن الطفل إذا طلب من أبيه شيئًا فلم يعطه بكى عليه»[(٢)].

فعلينا في هذه الحالة بالإلحاح والإلحاح على الله عَزَّوَجَلَّ، والاستغفار مرات ومرات حتى يفتح لنا الباب، ألم يقل سبحانه: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾ [الأنعام: ٤٣]، فعدم القيام أو حرمان حلاوة المناجاة وإقبال القلب على الله عقوبة منه سبحانه تستوجب تضرعًا وإلحاحًا واستغفارًا لعله يرانا على هذا الحال فيعفو عنا.

خامسًا: الاستفادة من الأوقات الفاضلة

يقول ابن رجب: «جعل الله سبحانه وتعالى لبعض الشهور فضلًا على بعض، كما جعل بعض الأيام والليالي أفضل من بعض، وجعل ليلة

---

(١) عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ مِنَ الليلِ، أو عَنْ شَيْءٍ مِنه، فَقَرَأَهُ ما بَيْنَ صَلَاةِ الفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ الليلِ**».

(٢) المدهش (١/ ٢١٩).

القدر خيرًا من ألف شهر.. وما من هذه المواسم الفاضلة موسم إلا ولله تعـــالى وظيفة من وظائف طاعاتـــه يُتقرب بها إليـــه، ولله فيها لطيفة من نفحاته يصيب بها من يشـــاء بفضله ورحمته، فالســـعيد من اغتنم مواسم الشهور والساعات وتقرَّب فيها إلى مولاه بما فيها من وظائف الطاعات، فعسى أن تصيبه نفحة من تلك النفحات يسعد بها سعادة يأمن بعدها من النار وما فيها من لفحات[١].

يقول رســـول الله ﷺ: «**إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ، فَتَعَرَّضُوا لَهَا؛ لَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ يُصِيبَهُ مِنْهَا نَفْحَةٌ لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا**»[٢].

هذه النفحات -بلا شـــك- ســـتصيب من يتعرض لها، أما الغافل عنها فأحسن الله عزاءه.

- **فعلى مســـتوى اليوم هناك ثلاثة أوقات يسميها العلماء بأوقات السير إلى الله بالطاعات**، وهي: آخر الليل وأول النهار وآخره، قال رســـول الله ﷺ: «**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَـــادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْـــشِرُوا، وَاسْـــتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَـــةِ وَشَيْءٍ مِنَ**

(١) تفسير ابن رجب (١/ ٥٣٢).

(٢) المعجم الكبير للطبراني (١٩/ ٢٣٣ برقم: ٥١٩)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠/ ٢٣١ برقم: ١٧٧١٢) واللفظ له.

الدُّلْـــجَةِ»[١] وقـــد وردت نصوص كثيرة في فضـــل أذكار الصباح والمســـاء، وفى فضل مَن ذكـــر الله حين يصبح وحـــين يمسي، وكان السلف لآخر النهار أشد تعظيمًا من أوله.

يقول البنا: «أيها الأخ العزيز أمامـــك كل يوم لحظة بالغداة ولحظة بالعشي ولحظة بالســـحر تستطيع أن تسمو فيها كلها بروحك الطهور إلى الملأ الأعلى، فتظفر بخيري الدنيا والآخرة.. وأمامك مواســـم الطاعات وأيام العبادات وليالي القربات التي وجَّهك إليها كتابك الكريم ورسولك العظيـــم ﷺ، فاحرص أن تكون فيها من الذاكرين لا من الغافلين، ومن العاملـــين لا من الخاملـــين.. واغتنم الوقت، فالوقت كالســـيف، ودع التسويف فلا أضر منه»[٢].

- **أما بالنسبة للأسبوع، فليوم الجمعة شرف عظيم وفيه ساعة يُجاب فيها الدعاء** فلنحرص على التعرض لها، يقول النووي: «ويستحب الإكثار من الدعاء في جميع يوم الجمعة، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس رجاء مصادفة ســـاعة الإجابـــة»[٣]، فعلينا بالاجتهـــاد في هذا اليوم المبارك ولنضع له برنامجًا خاصًّا، ولنبكِّر فيه الذهاب إلى المسجد لأداء

---

(١) صحيح البخاري: (١/ ١٦ برقم: ٣٩).

(٢) الرقائق للراشد (ص: ١٨) مؤسسة الرسالة.

(٣) الأذكار للنووي (ص: ١٢٩).

صلاة الجمعة على أحسن هيئة.

- **وإن كان شهر رمضان له أفضلية خاصة عن بقية الشهور فإن ليلة القدر لها شرف عظيم**، يقول رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[1]، والتماس ليلة القدر إنما يكون في العشر الأواخر من رمضان؛ لذلك يُستحب الاجتهاد فيها؛ فلقد كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله.

- **ومن هذه المواسم أيضًا**: موسم العمرة، فهي في رمضان تعدل حِجة، فلنحرص على القيام بها..

وليعمل كلٌّ منا على أن ينظم أموره بالطريقة التي تعينه على الاستفادة من هذه الأوقات الفاضلة؛ فإن فاته وقت منها لم يترك الاجتهاد في البقية الأخرى.

سادسًا: الاعتكاف

الاعتكاف هو لزوم المسجد لطاعة الله، وهو مستحب في كل وقت في رمضان وغيره، وأفضله في العشر الأواخر من رمضان؛ ليتعرض

(١) صحيح البخاري (٣/ ٢٦برقم: ١٩٠١).

العبد فيها لليلة القدر والتي هي خير من ألف شـــهر. ولقد ذهب الإمام أحمد إلى أن المعتكِف لا يســـتحب له مخالطة الناس حتى وإن كان لتعليم علم وإقــراء قرآن، بل الأفضل له الانفراد بنفســـه والتخلي بمناجاة ربه وذكره ودعائه.

وهذا الاعتـــكاف هو الخلوة الشرعية التي لا يُترك معها الـــجُمع والجماعـــات، فعلينا أن نغتنم أي وقت -مهـــما قَصُر- في نهار رمضان أو ليله ننوي فيه الاعتكاف ونختلي فيه بالله عَزَّوَجَلَّ..

ولنحرص على الاعتكاف في العشر الأواخر، فإن لم نستطع فليكن ذلك في لياليها وبخاصة الوتر منها، ولنحذر من الخلطة والكلام وكل ما يقطع علينا خلوتنا بالله عَزَّوَجَلَّ، يقول ابن رجب: «فحقيقة الاعتكاف قطع العلائق عن الخلائق للاتصال بخدمة الخالق»[١].

وللأخت المســـلمة أن تعتكف في مســـجد بيتها اســـتنادًا على رأي الأحناف في جـــواز ذلك، ولتقتطع من يومها وقتًا تلازم فيه مســـجدها وتُقبِل فيه على الله عَزَّوَجَلَّ.

سابعًا: الدعاء

الدعاء هو العبادة، ولا يرد القدر سواه، ففيه يتمثل فقر العبد وذله

(١) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٩١).

وانكساره إلى من بيده ملكوت كل شيء.. وهناك أوقات مخصوصة يُفضل فيها الدعاء، منها:

بين الأذان والإقامة، ودُبُر الصلوات، وفي الثلث الأخير من الليل، ويوم الجمعة منذ أن يصعد الإمام المنبر حتى تنتهي الصلاة، وكذلك في الساعة الأخيرة من هذا اليوم، وفي ليلة القدر، وعند نزول المطر، وللصائم دعوة مستجابة، وكذلك المسافر، وفي كل ليلة من رمضان عتقاء من النار، وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فعلينا اغتنام تلك الأوقات نتذلل فيها لله، ونتبرأ من حولنا وقوتنا.. نستعطفه ونتملقه ونسترضيه ونسأله من خيري الدنيا والآخرة، ولنحذر من الدعاء باللسان دون حضور القلب. قال رسول الله ﷺ: «**وَاعْلَمُوا أَنَّ الله لاَ يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاَهٍ**»[(١)].

ولنكثر من الدعاء لإخواننا المسلمين المضطهدين في كل مكان، ولنخص المرابطين في فلسطين بحظ وافر من الدعاء.. ولندع كذلك على الطغاة الظالمين الذين يحادّون الله ورسوله في كل مكان، عساه -سبحانه- أن يفرج الكرب ويكشف الغمة وينزل نصره الذي وعد، قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

---

(١) رواه الترمذي (٥/ ٥١٧ برقم: ٣٤٧٩)، والبزار (١٧/ ٣٠٧ برقم: ١٠٠٦١)، والحاكم (١/ ٦٧٠ برقم: ١٨١٧)، وقال: حديث مستقيم الإسناد، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثامنًا: الصدقة

إن المتأمل لكتاب الله -عَزَّوَجَلَّ- يجد الكثير من الآيات التي تحث المسلم على الإنفاق في سبيل الله، ولقد كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، يقول تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، فالمستفيد الأول من الصدقة هو صاحبها لأنها تخلصه من الشح وتطهره من الذنوب.

فبداية انطلاق النفس نحو السماء وتخلصها من جواذب الأرض هو تطهرها من الشح المجبولة عليه بدوام الإنفاق في سبيل الله، حتى يصير سجية من سجاياها فتزهد في المال ويخرج حبه من القلب.

وللصدقة فضل عظيم في الدنيا والآخرة: فهي تداوي المرضى، وتدفع البلاء، وتيسر الأمور، وتجلب الرزق، وتقي مصارع السوء، وتُطفئ غضب الرب، وتُزيل أثر الذنوب، وهى ظل لصاحبها يوم القيامة، وتحجبه عن النار وتدفع عنه العذاب.. وللصدقة علاقة وثيقة بالسير إلى الله، يقول تعالى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٩٩]، ولا عذر لأحد في تركها؛ فالله عَزَّوَجَلَّ لم يحدد لنا قدرًا معينًا نتصدق به، فالباب مفتوح

أمام الجميع كلٌّ حسب استطاعته.

ولكـــي تؤتي الصدقة ثمارها المرجوة، لا بد من تتابعها بصورة يومية كـــما قـــال الله تعـــالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقـرة: ٢٧٤]، فلنُخرِج الصدقة كل يوم ولو ما يعادل شق تمرة، ولنخصص صندوقًا في البيت لذلك ليســهل علينا المداومة عليها، ثم نعطيها كل فترة لمن يستحقها.

تاسعًا: الفكر والذكر

ذكر الله -عَزَّوَجَلَّ- هو قوت القلوب ومادة حياتها، قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالـمَيِّتِ**»[(١)].

ويقول ابن تيمية: «الذكر للقلب مثل الماء للســمك، فكيف يكون حال الســمك إذا فارق الماء»؟!(٢)، ودور الجنة تُبنى بالذكر، فإذا أمسك الذاكر عن الذكر أمسكت الملائكة عن البناء، فإذا أخذ في الذكر أخذوا في البناء(٣).

---

(١) البخاري في الدعوات باب فضل ذكر الله عَزَّوَجَلَّ (١١/ ٢٠٨)، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد (١/ ٥٣٩).

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٤٢).

(٣) المصدر السابق (ص: ٧٩).

ولكي يستفيد المسلم من الذكر ويواطىء لسانه قلبه فيُحدث فيه الأثر المطلوب لا بد من ربطه بعبادة التفكر، كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾** ﴾

[آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

ويقول الحسن البصري: « إِنَّ أَهْلَ الْعَقْلِ لَمْ يَزَالُوا يَعُودُونَ بِالذِّكْرِ عَلَى الْفِكْرِ وَبِالْفِكْرِ عَلَى الذِّكْرِ حَتَّى اسْتَيْقَظَتْ قُلُوبُهُمْ فَنَطَقَتْ بِالْحِكْمَةِ »[١].

فالبداية تكون بالتفكر في مجال من المجالات، ثم يتبع ذلك بالذكر المناسب له. **فعلى سبيل المثال**: إذا تفكر المرء في ذنوبه وتقصيره في جنب الله، عليه أن يتبعه بالاستغفار.

وإذا ما تفكر في بديع صنع الله وآياته في النفس والكون أتبع ذلك بالتسبيح والحمد، وعندما يتفكر العبد في حاجته الماسة إلى الله وفقره الذاتي إليه ردد بعده ذكر: لا حول ولا قوة إلا بالله، وهكذا في بقية الأذكار.

فعلينا أن نضع لأنفسنا أورادًا من الذكر نلتزم بها ونعمل على مواطأة

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٠/ ١٩).

القلب اللسان فيها، ولنعلم أن الثواب التام على قدر العمل التام؛ فالأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب؛ فتكون صورة العملين واحدة، وبينهما في التفاضل كما بين السماء والأرض.

وفي أذكار الصباح والمساء وكذلك أذكار الأحوال معانٍ عظيمة علينا أن نتفكر فيها ونحن نردد تلك الأذكار في أوقاتها.

عاشرًا: محاسبة النفس

بعد مرور عدة أيام من رمضان تصبح النفس سهلة القيادة.. عند ذلك علينا أن نبدأ في محاسبتها على ما مضى من أعمال. وهناك مجالات كثيرة لمحاسبة النفس تتناول حياة المسلم من جميع جوانبها، على الواحد منا أن يقف أمام كل بند من بنودها ليعرف أين تقع أقدامه بالنسبة إليه. وحبذا لو سجلنا الذنوب وأوجه التقصير ليكون ذلك دافعًا لحسن التوبة وتصحيح المسار.

مجالات المحاسبة

- **عبادات الجوارح**: مثل الصلوات الخمس في أول وقتها في المسجد، السنن الرواتب، أذكار الصلاة، صيام رمضان وصيام التطوع،

مداومة الإنفاق في سـبيل الله، أذكار الصباح والمساء، تحري السنة في الأقوال والأفعال.

- **معاصي الجـوارح**: مثـل الغيبة والنميمة، السـخرية، الاسـتهزاء بالآخرين، الجدل والمراء، إفشاء السر، الغمز واللمز، الكذب، اللغو والثرثرة، عـدم غض البصر، الخوض في الباطـل، سرعة الغضب، إخلاف الوعد.

- **عبادات القلب**: كالخشـوع في الصلاة، الخوف من الله واستشـعار مراقبته، الرضا بقضاء الله وقدره، التوكل على الله، الصبر عند المصيبة، الشكر عند ورود النعم.

- **معاصي القلوب**: كالإعجاب بالعمل والتسـميع به، الضيق بالنقد، الحسد، الغرور، المباهاة، المن بالعطايا، اتباع الهوى، احتقار الآخرين، وسوء الظن بهم.

- **الحقوق**: كحقوق الزوجـة، والأولاد، الوالدين، الرحم، الجيران، حق الطريق، حق الدعوة، الأخوة.

- **السلوكيات وفضائل الأعمال**: كالسـعي لقضاء حوائج الناس، لين الجانـب، التواضع، عيـادة المريـض، اتباع الجنائز، الإحسـان إلى الآخرين، أداء الأمانات إلى أهلها، دوام التبسم والبشر، إتقان العمل.

وعلينا بعد كل جلسة من هذه الجلسات الإكثار من الاستغفار، ولو أمكن الصلاة -ولتكن صلاة التوبة[١]- قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

• • •

(١) قال رسول الله ﷺ: «**ما من رجل يذنب ذنبًا ثم يقوم فيتطهر، ثم يصلي ثم يستغفر الله إلا غفر له**». سنن الترمذي (٥/ ٢٢٨ برقم: ٣٠٠٦).

خلاصة القسم الأول

هناك عشر وسائل تساهم -بإذن الله- في تحقيق الثمرة المرجوة من رمضان، علينا أن نضع من خلالها برنامجًا لأنفسنا نسير عليه طيلة هذا الشهر المبارك، ولنجعل في يومنا ثوابت لا نحيد عنها.

- فنخصص وقتًا ثابتًا للاعتكاف في المسجد وليكن من الفجر حتى طلوع الشمس، فإن لم نستطع فمن بعد العصر إلى المغرب، نقرأ في هذا الوقت ورد القرآن بالطريقة التي أشرنا إليها.
- ولنخصص صندوقًا في البيت نضع فيه الصدقة اليومية، وليكن لنا وقت للتهجد قبل الفجر ولو بنصف ساعة بخلاف صلاة التراويح.
- وعلينا كذلك تخصيص أوراد من الذكر المطلق، كسبحان الله وبحمده (مائة) مرة، واستغفار (...) مرة، وصلاة على الرسول ﷺ (...) مرة ، وحوقلة (...) مرة، ويقترح تقسيم هذه الأذكار على مدار اليوم والليلة.
- وعلينا أن نستفيد من أوقات استجابة الدعاء، فنلح فيها على الله -عَزَّوَجَلَّ- وندعوه دعاء المضطر المشرف على الغرق لنا ولأهلنا

ولإخواننا وللمسلمين أجمعين.

- ولنتحين الفرصة المناسبة التي نخلو بأنفسنا، ولنحاسبها على ما مضى...

• • •

«القسم الثاني»

مع النـاس

إن السـعي بالخير وسـط الناس له مردود إيماني كبير في قلب العبد المسـلم؛ فهو يزيد الإيمان ويثبته ويصل بصاحبه إلى أن يكون محبوبًا عند الله عَزَّوَجَلَّ.

قال رسـول الله ﷺ: «**أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكَشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْـمَسْجِدِ** - يَعْنِي مَسْـجِدَ الْـمَدِينَةِ- **شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامِ، وَإِنَّ الْـخُلُقَ السَّيِّءَ يُفْسِدُ الْأَعْمَالَ كَمَا يُفْسِدُ الْـخَلُّ الْعَسَلَ**»(١).

---

(١) رواه الطبراني (١٢/ ٤٥٣)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٤٨) وقوله: «وإن الخلق السيئ...» من زيادة أبي نعيم.

وإليك أخي المسلم بعضًا من أعمال الخير علينا أن نحرص على القيام بها في رمضان شريطة ألا يكون ذلك على حساب العمل مع أنفسنا، فالتركيز الأكبر في شهر رمضان وغيره ينبغي أن يكون في اتجاه الأعمال الفردية التي تملأ القلب بالإيمان، والذي من شأنه أن يدفعنا طيلة العام لبذل الجهد في كافة أوجه الخير والدعوة والبر والصلة...

١- الإحسان إلى الزوجة والأولاد

إن الإحسان الحقيقي للزوجة والأولاد إنما يكون بأخذ أيديهم إلى طريق الله والتنافس معهم في السباق نحو الجنان.. ولقد طالبنا الله بذلك، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦]، فعلينا أن نستفيد من موسم رمضان في الارتقاء الإيماني والسلوكي بهم؛ فنجلس معهم قبيل حلول الشهر المبارك، ونضع لكل منهم برنامجًا يسير عليه يراعي جانب العروة الوثقى، وهما -كما مر علينا سابقًا- إخلاص العبادة لله والإحسان إلى الخلق.

وعلينا كذلك أن ننظم لهم أوقاتهم ليتمكنوا من القيام بما عليهم من واجبات، ولنخصص مكانًا في البيت ليكون بمثابة مسجد لهم.

ولتكن لنا معهم جلسة يومية -وإن قصرت- ونختار لها الوقت

المناسب للجميع، وفيها نقرأ معًا ما تيسر من القرآن مع الاستماع إلى خواطرهم النافعة.

ومع القرآن علينا أن نتدارس كتابًا نافعًا في الحديث أو السيرة، ثم نتابع حصيلة اليوم من الأعمال الصالحة فنشجع المحسن ونشحذ همة المقصر، ونختم اللقاء بالدعاء لأنفسنا وللمسلمين.

٢- الجود والكرم

وهذا باب عظيم من أبواب الخير علينا أن نلجه في رمضان: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «**كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالخَيْرِ، وَأَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، لِأَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، حَتَّى يَنْسَلِخَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ كَانَ أَجْوَدَ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ**»[١].

فلنُرِ الله من أنفسنا خيرًا في هذا الشهر المبارك فهو -سبحانه وتعالى- يحب أهل السخاء والكرم، قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ**

(١) البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ (برقم: ٤٩٩٧)، مسلم: كتاب الفضائل، باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة (٤/ ١٨٠٣).

الْكَـرَمَ، جَوَادٌ يُحِـبُّ الْـجُودَ، وَيُحِبُّ مَعَـالِيَ الْأَخْـلَاقِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا»[(١)].

ومن سـمات أهل الكرم والسخاء أنهم يبذلون من كل ما يملكون بلا حساب؛ سواء أكان ذلك مالًا أم علمًا أم وقتًا أم جهدًا.

ولقد أوصى رسـول الله ﷺ أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بذلك فقال لها: «**لاَ تُحْصِي فَيُحْصِيَ اللهُ عَلَيْكِ**»[(٢)] والمعنى -كما يقول ابن حجر- في الفتح: «النهي عن منع الصدقة خشـية النفاد، فإن ذلك أعظم الأسباب لقطع مادة البركة؛ لأن الله يثيب على العطاء بغير حساب، ومن لا يحاسب عند الجزاء لا يحسـب عليه عند العطاء، ومن علم أن الله يرزقه من حيث لا يحتسب فحقه أن يعطي ولا يحسب»[(٣)].

فلنجعل رمضان وسـيلة للتعود على الكرم والجود والسخاء، فلا نبخل على الله بأموالنا ولا أوقاتنا ولا جهدنا، ولنضحِّ بها بغير حساب.

جاء في شـعب الإيمان للبيهقي أن يزيد بن مروان جاءه مال فجعل يصره صررًا ويبعث به إلى إخوانه ويقول: «إني لأستحي من الله -عَزَّوَجَلَّ-

---

(١) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (١/ ١٩ برقم: ٨).

(٢) رواه البخاري (٢/ ١١٣ برقم: ١٤٣٣).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٣/ ٣٠٠)

أن أسأل الجنة لأخ من إخواني، ثم أبخل عليه بالدينار والدرهم»[(١)].

٣- صلة الرحم

قبل أن نتحدث عن واجبنا في رمضان تجاه أرحامنا أدعو القارئ إلى التأمل في هذا الحديث النبوي الشريف لنعلم كم نحن مقصرون في حق أنفسنا، زاهدون في خيري الدنيا والآخرة.

قال رسول الله ﷺ: «**ما من ذنبٍ أجدرُ أن يُعجِّلَ اللهُ تعالى لصاحبِه العقوبةَ في الدنيا، مع ما يَدَّخِرُه له في الآخرةِ من قطيعةِ الرَّحِمِ، والخيانةِ، والكذبِ، وإنَّ أَعجلَ الطاعةِ ثوابًا لصلَةُ الرَّحِمِ، حتى إنَّ أهلَ البيتِ ليكونوا فجَرةً، فتنمو أموالُهم، ويكثُرُ عددُهم، إذا تواصَلوا**»[(٢)].

ولا يتعلل البعض بوجود قطيعة وعداوة قديمة بينه وبين أهله وأرحامه، فلقد أتى رجل النبي ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللهَّ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونَنِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ وَأَحْلُمُ

(١) شعب الإيمان (١٣/ ٣١٦ برقم: ١٠٣٩١)، وأروده ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (ص: ٧١).

(٢) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٧٦ برقم: ٤٩٠٢)، والترمذي (٤/ ٢٤٥ برقم:٢٥١١)، وابن ماجة (٢/ ١٤٠٨ برقم:٤٢١١)، وأحمد (٣٤/ ٨ برقم: ٢٠٣٧٤) باختلاف يسير، الجامع الصغير (برقم: ١٠٦٤٢).

عَنْهُمْ، قَالَ: «**لَئِنْ كَانَ كَمَا تَقُولُ فكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ**»[١].

٤- إطعام الطعام

وهذا باب عظيم من أبواب الخير غفل عنه الكثير من الناس، قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَغُرَفًا يُرَى بُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا، وَظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا**» فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ لِمَنْ هِيَ؟ قَالَ: «**لِمَنْ أَطَابَ الْكَلامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَصَلَّى للهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ**»[٢].

ولقد كان صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُطعِم الطعام الكثير، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا صهيب، إنك تطعم الطعام الكثير وذلك سرف في المال، فقال صهيب: إن رسول الله ﷺ كان يقول: «**خِيَارُكُمْ مَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَرَدَّ السَّلامَ**». فذلك الذى يحملنى على أن أطعم الطعام[٣].

وكان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «لَأَنْ أَجْمَعَ أُنَاسًا مِنْ أَصْحَابِي عَلَى صَاعٍ مِنْ طَعَامٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَخْرُجَ إِلَى السُّوقِ فَأَشْتَرِيَ نَسَمَةً فَأَعْتِقَهَا»[٤].

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٩٨٢ برقم: ٢٥٥٨).

(٢) رواه أحمد (٢/ ٤٤٩ برقم: ١٣٣٨)، وابن خزيمة (٣/ ٣٠٦ برقم: ٢١٣٦).

(٣) مسند أحمد ط الرسالة (٣٩/ ٣٤٨ برقم: ٢٣٩٢٦)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ١٥٣).

(٤) الأدب المفرد (١/ ١٩٩ برقم: ٥٦٦)باختلاف يسير، مكارم الأخلاق للطبراني (١/ ٣٧٥ برقم: ١٧١) واللفظ له.

ومن أهم صور ذلك إطعام المساكين ففيه خير عظيم، قال رسول الله ﷺ للرجل الذي اشتكى له من قسوة قلبه: «**إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ، فَأَطْعِمِ الْمِسْكِينَ، وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ**»[(١)].

فلنجهز وجبات الإفطار للفقراء والمساكين ونجلس معهم نشاركهم طعامهم ونشعرهم بإخوتنا لهم.. ومع تذكرنا لهؤلاء علينا ألا ننسى إخواننا المكروبين في كثير من بلدان العالم والتي يعاني أهلها من الظلم والاضطهاد والجوع والحرمان، ولنتذكر بشرى رسول الله ﷺ: «**مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ**»[(٢)].

٥- الإصلاح بين الناس

إذا ما نظرنا للأسباب التي من أجلها يتشاحن الناس لوجدناها صغيرة وتافهة نفخ فيها الشيطان حتى أوقع القطيعة بين الأب وابنه، والجار وجاره، والصديق وصديقه.. في هذا الجو المسمم تَكثُر الظنون، وتُقطع الأرحام، وتتوارث العداوات؛ لذلك كان السعي للإصلاح بين

---

(١) رواه أحمد في المسند (١٣/ ٢١ برقم: ٧٥٧٦)، وحسنه ابن حجر في فتح الباري (١١/ ١٥١).

(٢) مسند أحمد مخرجًا (٢٨/ ٢٦١ برقم: ١٧٠٣٣) واللفظ له، وسنن الدارمي (٢/ ١٠٦٢ برقم: ١٧٤٤)، وابن ماجة (١/ ٥٥٥ برقم: ١٧٤٦).

الناس فضل عظيم، قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤].

ولقد وعد رسول الله ﷺ القائم بهذا العمل الجليل بدرجة أعلى من درجة الصائم القائم المتصدق؛ لما في ذلك من إشاعة جو التراحم والتواد بين أفراد المجتمع. قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبرُكُم بأفضَلَ من درجةِ الصِّيامِ والصَّلاةِ والصَّدَقَة؟**» قالوا: بَلَى يا رسولَ الله. قال: «**إصلاحُ ذاتِ البَينِ، فإنَّ فَسادَ ذاتِ البين هِي الحالِقَة**»(١).

ولنبدأ بأنفسنا فنعفو عمن ظلمنا، ونُحسن لمن يسيء إلينا، ولنكن قدوة لغيرنا في الحلم والأناة وسعة الصدر.

٦- قضاء حوائج الناس

من صور الإحسان العظيمة: السعي في قضاء حوائج الناس، ولأن المحسن رجل قد سعى إلى خدمة الآخرين حبًّا في الله وشفقة على خلقه كان جزاؤه من جنس عمله. قال رسول الله ﷺ: «**أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى الله تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى الله تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكَشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا،**

(١) أخرجه أحمد (٤٥/ ٤٩٩ برقم: ٢٧٥٠٨)، وأبو داود (٤/ ٢٨٠ برقم: ٤٩١٩)، وسنن الترمذي (٤/ ٢٤٤ برقم: ٢٥٠٩) واللفظ له.

وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ- شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامِ، وَإِنَّ الْخُلُقَ السَّيِّئَ يُفْسِدُ الْأَعْمَالَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ»(١).

أما الساعي على الأرملة والمسكين فله أجر خاص. قال رسول الله ﷺ: «**السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ الله، أَوِ القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ**»(٢).

إن هذه الأحاديث لا تحتاج إلى تعليق سوى الاجتهاد في تلمُّس حوائج الناس والمبادرة إلى قضائها، ولقد كان حكيم بن حزام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يحزن على اليوم الذي لا يجد فيه محتاجًا ليقضي له حاجة فيقول: «مَا أَصْبَحْتُ وَلَيْسَ بِبَابِي صَاحِبُ حَاجَةٍ؛ إِلاَّ عَلِمْتُ أَنَّهَا مِنَ المَصَائِبِ الَّتِي أَسْأَلُ اللهَ الأَجْرَ عَلَيْهَا»(٣).

---

(١) رواه الطبراني (١٢/ ٤٥٣)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٤٨) وقوله: «**وإن الخلق السيئ...**» من زيادة أبي نعيم.

(٢) رواه البخاري (٧/ ٦٢ برقم: ٥٣٥٣)، ومسلم (٤/ ٢٢٨٦ برقم: ٢٩٨٢).

(٣) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٣/ ٥١).

٧- أنقذ غيرك

لقد نجح إبليس في إغواء الكثير من الناس؛ فصرفهم عن عبادة ربهم وشغلهم بزينة الحياة الدنيا، وسار بهم في طريق يؤدي بهم إلى النار. فهل نتركهم وشأنهم أم نحاول إنقاذهم؟!

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣]، فلا سبيل لإيقاظ هؤلاء المساكين إلا بدعوتهم إلى الله.

ولقد رَغَّب -سبحانه وتعالى- عباده المؤمنين للقيام بهذه المهمة، فجعل مقامها مقام الأنبياء والرسل، أما أجرها فلا حدود له.

﴿ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ﴾ [الجن: ٢٢، ٢٣].

فهل لنا -يا أخي- أن ننال شرف هذه المهمة ونعمل على إنقاذ من حولنا من النار؟

هل لنا أن نستفيد من أجواء رمضان حيث النفوس طَيِّعة والشياطين مُصفَّدة؟

يقول رسول الله ﷺ: «**لأَنْ يَهْدِى اللهُ عَلَى يَدَيكَ رَجُلًا خيرٌ لَكَ مِمَا**

طَلَعتْ عَلَيه الشَّمْسُ وَغرُبَتْ»[١].

فهيا بنا نجتهد لنكون سببًا في هداية وإنقاذ غيرنا.

هيا بنا نوقظ غافلًا، ونهدي حائرًا، ونرشد ضالًا.

هيا بنا نبدأ بالأقربين، فنعمل على تبصيرهم بحقيقة الدنيا ونجذبهم معنا إلى المسجد.

هيا بنا نتخير بعضًا ممن يقبلون على المسجد في رمضان، فنصحح له فهمه ونبصره بطريق صحيح إلى الله.. هيا نردد دعاء الرسول ﷺ: **«وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ»**[٢].

• • •

(١) جمع الجوامع المعروف بـ «الجامع الكبير» للسيوطي (٦/ ٥٢٩).

(٢) سنن النسائي (٣/ ٥٤ برقم: ١٣٠٥)، ومسند أحمد (٣٠/ ٢٦٠ برقم: ١٨٣٢٥).

خلاصة القسم الثاني

إن مدار السعادة وقطب رحاها يدور على أمرين: إخلاص العبادة لله، والإحسان إلى الخلق.

وصور الإحسان كثيرة علينا أن نحرص على القيام بها، وأن نستفيد من الأجواء التي يشيعها رمضان في التعود على هذا السلوك.

ومن ذلك: الإحســـان إلى الزوجة والأولاد بالمتابعة المستمرة لهم، ووضع البرامــج التي تنهض بهم، والذي يســاعد على نجــاح المهمة: الحرص على الجلوس اليومي معهم في وقت يناسبهم.

ومن صور الإحسان أيضًا: صلة الرحم وإطعام الطعام، ومداومة البذل والعطاء، والســعي في قضاء حوائج الناس، وإصلاح ذات بينهم، ودعوتهم إلى الله.

• • •

أتعهد

.. وأخيرًا، فهلَّا وافقتني -يا أخي- أن يأخذ الواحد منا العهد على نفسه للقيام بهذه الأمور، فلقد قال تعالى: ﴿ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا ﴾ [الأنفال: ٧٠] وقال رسول الله ﷺ في الحديث: «**ومن يَتَحَرَّ الخيرَ يُعطَه**»[1]. فلعل الله -سبحانه وتعالى- يرى صدقنا فيعطينا سؤالنا ويبلغنا مرادنا، فكما قيل: الإمداد على قدر الاستعداد.

أخي، إن النفس دائمًا تركن إلى الخمول والكسل، وكلما أعطيتها من الراحة طلبت المزيد، وشهر رمضان ساعات معدودات، فخذ من نفسك لنفسك العهد والميثاق لتنفيذ تلك الواجبات، وخذها بقوة، وسل الله العون والقبول.

١. عدم الإكثار من النوم بالنهار.

٢. عدم الإكثار من الطعام والشراب.

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الحلم (١/ ٤٣ برقم: ٤٧)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٠/ ١٨٤ برقم: ٤٦٩٧) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ مرفوعًا.

٣. عدم الإكثار من الكلام والضحك.

٤. التفكر في القرآن وإعادة ما أقراه وأنا غافل.

٥. الإكثار من ذكر الموت.

٦. طول المكث في المسجد.

٧. التبكير إلى صلاة الجماعة.

٨. تخصيص مسجد في البيت للزوجة والأولاد.

٩. الجلوس مع الزوجة والأولاد يوميًّا للاطمئنان على الأحوال مع القراءة النافعة.

١٠. التهجد والدعاء والاستغفار في الجزء الأخير من الليل (قبل الفجر).

١١. اغتنام الأوقات الفاضلة في اليوم وعدم إضاعتها بالنوم أو الغفلة.

١٢. كثرة الدعاء -بحضور قلب- بخاصة في الأوقات المندوب فيها.

١٣. وضع صندوق في البيت للصدقة والتبكير بها يوميًّا.

١٤. ربـــط عبادة الذكـــر بالفكـــر، والعمل على حضـــور القلب ما استطعت.

١٥. الاعتكاف ولو لساعة يوميًّا والاجتهاد في الاعتكاف في العشر الأواخر.

١٦. محاسبة النفس عن الفترة الماضية في المجالات المختلفة.

١٧. الإكثار من عمل الخير.

١٨. إطعام الطعام وبخاصة المساكين.

١٩. السعي في قضاء حوائج الناس.

٢٠. العفو والصفح والحلم وسعة الصدر.

٢١. الدعوة إلى الله.

• • •

برنامجي في رمضان

أخي الحبيب: لكل منا ظروفه وشـــواغله، وحتى لا نفاجأ بتسرب أيام رمضان من بين أيدينا، أقترح عليك وضع برنامج يومي تستعمل فيه الوسائل السابقة حسب ظروف وقتك.. وهذه بنود مقترحة لهذا البرنامج في صورة أسئلة، عليك أن تجيب عنها، وتضيف ما تراه مناسبًا.



الصدقة	**أين سأضع صندوق الصدقة؟ وأي أوقات اليوم سأتصدق؟** ....
صلاة التراويح	**أين سأصلي؟ في المسجد، أم في البيت في مكان هادئ؟** .... **أي الأيام سأصطحب فيها الزوجة والأولاد؟** ....
الذكر والفكر	**ما مقدار وردي اليومي من الذكر المطلق؟ (يُراعى التنويع)** .... **متى وأين سيكون أدائي للورد؟** ....
قيام الليل	**متى سأستيقظ للصلاة قبل الفجر؟** .... **ما الوسائل التي سأتخذها كي تعينني على التهجد؟** ....

الزوجة والأولاد	أين سيكون مكان مسجد البيت؟ .... متى سأجلس مع الزوجة والأولاد؟ .... ما برنامج هذه الجلسة؟ .... ما البديل عندما يتعذر وجودي معهم؟ ....
الدعوة إلى الله	بمن سأبدأ؟ .... وما الوسائل التي سأستخدمها في الدعوة؟ ....

الأعمال الأسبوعية

أعمال الخير مع (الوالدين - الأقارب - الجيران - الزملاء - الفقراء - الأيتام - المسلمين المضطهدين - عموم المسلمين ......).

أعمال الخير	
الأسبوع الأول	← ما أعمال الخير التي أنوي القيام بها؟ ....
الأسبوع الثاني	← ما أعمال الخير التي أنوي القيام بها؟ ....
الأسبوع الثالث	← ما أعمال الخير التي أنوي القيام بها؟ ....
الأسبوع الرابع	← ما أعمال الخير التي أنوي القيام بها؟ ....

محاسبة النفس

متى سأجلس مع نفسي منفردًا؟ (أحدد يومًا في الأسبوع لذلك)

....

أي مجالات المحاسبة سأبدأ بها؟

....

ذكر الموت

متى سأذهب لزيارة المقابر؟

....

متى سأكتب وصيتي إلى زوجتي؟

....

متى سأكتب وصيتي إلى والدتي؟

....

متى سأكتب وصيتي إلى أولادي؟

....

أي الأيام أخصصها لزيارة المرضى في المستشفيات؟

....

وفي النهاية

هل علمت -يا أخي- ماذا نريد من رمضان؟

نســـأل الله أن يتقبـــل منـــا ومنكـــم صيامنا وقيامنـــا وأن يبلغنـــا مرادنا

والحمد لله رب العالمين

• • •

الفهرس

الموضوع	الصفحة

المقدمـــة.. ٥

حتى لا نخسر رمضان

حياة القلب بالإيـمان هي الهــدف........................ ٨
العبادات وسائل................................ ١٠
تهيئة الأجواء لتحقيـق الهــدف........................ ١٢
غيـــاب الرؤية................................ ١٤
إحســـان العمل أولًا................................ ١٦
سل الواقع................................ ١٧
تحصيل الثواب................................ ١٩
أيـــن الثمـــرة؟!................................ ٢٣
إحســـان ثم إكثـــار................................ ٢٣
الفهم الصحيـــح أولًا................................ ٢٤

حتى لا يضيع علينا رمضـــان........................ ٢٥
الغنيمـــة البـــاردة............................ ٢٦
في رمضان العمل مع أنفســنا أهم واجباتنـــا............... ٢٨
البنـــا يؤكـــد...................................... ٣٠

رمضان وعودة الروح

الهدايا الإلهيـــة...................................... ٣٤
أقبل ولا تخف.. ٣٧
رمضان وعودة الـــروح................................ ٣٨
حاجة الأمـــة إلى رمضـــان........................... ٣٩
أرأيت ما نزل بساحتنا؟!............................... ٣٩
لماذا نحـــن؟!....................................... ٤٠
القرآن يجيـــب.. ٤١
أصابنـــا الوهـــن..................................... ٤٣
البدايـــة.. ٤٤
الجســـد الواحـــد.................................... ٤٦
لا أســـتطيع.. ٤٧
روح جديـــدة.. ٤٩

الرؤوف الرحيم.......................................٤٩
إنــه القــرآن..٥٠
دواء مجــرب..٥٠
القرآن هو الحــل....................................٥١
القرآن ينتظــر..٥٢
دواء يصلــح للجميــع...............................٥٤
لماذا لا يغيرنا القــرآن؟...........................٥٥
كيف ننتفع بالقــرآن؟...............................٥٦
رمضان والروح المفقودة...........................٦١
الميلاد الجديــد......................................٦٢
ســريان الروح في الأمة............................٦٣

ماذا نريد من رمضان؟

تمهيــد...٦٥
شهر المغفرة......................................٦٧
هل من مشمر للجنة؟!.............................٦٨
أحوال الناس مع رمضــان.....................٧٠
علامات صلاح القلــب...........................٧١

القسم الأول: مع الله

أولًا: الصيام..٧٥
ثانيًا: التعلــق بالمســاجد..........................٧٦
ثالثًا: القــرآن الكريــم...............................٧٨
كيــف ننتفــع بالقــرآن؟..............................٨٠
رابعًا: قيــام الليــل...................................٨٤
من فقــه القيــام..٨٦
اســجد واقــترب..٨٦
ماذا نفعل لو حُرمنا القيام؟!...........................٨٧
خامسًــا: الاســتفادة من الأوقات الفاضلة.........٨٨
سادسًا: الاعتكاف.....................................٩١
ســابعًا: الدعــاء.......................................٩٢
ثامنًا: الصــدقة ٩٤
تاســعًا: الفكر والذكــر.................................٩٥
عاشرًا: محاســبة النفــس..............................٩٧
مجــالات المحاســبة ٩٧
خلاصة القسم الأول....................................١٠٠

القسم الثاني: مع النـاس

١- الإحســان إلى الزوجة والأولاد........................١٠٣
٢- الجود والكــرم................................١٠٤
٣- صلة الرحــم................................١٠٦
٤- إطعام الطعــام................................١٠٧
٥- الإصلاح بين النــاس................................١٠٨
٦- قضاء حوائج النــاس................................١٠٩
٧- أنقذ غــيرك................................١١١
خلاصة القســم الثاني................................١١٣
أتعهــد................................١١٤
برنامجي في رمضان................................١١٧
الأعمال اليومية................................١١٧
الأعمال الأسبوعية................................١٢٠
الفهــرس................................١٢٣

• • •